مجلة المجمع العلمي

بغداد في الشعر العباسي

الدكتور احمد مطلوب

رئيس المجمع العلمي

الملخص :

بغداد أم الدنيا ، وليست (عاصمة الثقافة العربية) فحسب ، فقد شع نورها على العالم ، وكانت مركز حضارة راقية ، وكان العلماء يؤمونها لأخذ العلم من أعلامها ، وكان الناس يتوافدون اليها للتمتع بما فيها من عمران ومشاهد تسر الناظرين .

وهذا البحث وقوف على بعض معالم (بغداد) من خلال ما قاله بعض الشعراء وهم يصورون معالمها ، ومجالس العلم ، وحياة الرفاهية فيها ، وأهم ما فيه الكلام على أوصاف بغداد ، وجانبيها (الكرخ والرصافة) ومحلاتها ، وأسواقها ، وقصورها وأنهارها وجسورها ، ومناخها ، ومتنزهاتها ، وأديرتها ، ودور العلم فيها ، ومشاعر أهلها وزائريها ، وما وقع فيها من أحداث صورها الشعراء العباسيون .

المقدمـــة :

كانت بغداد في العصر العباسي حاضرة الدولة ، وكان لها دور كبير في بناء الحضارة العربية الاسلامية ولاتزال شامخة تعتز بماضيها العريق وحاضرها الزاهر . وقد فتن الناس بها قديما وحديثا وتحدثوا عنها ووصفوها بكل قول جميل ، وكان الشعراء من أكثر القوم حديثا عنها

---

* سبق نشره في كتاب (المدينة في التراث) سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ونعيد نشره بمناسبة (بغداد عاصمة الثقافة العربية) .

ووصفا لها وتشوقا اليها ، وفي الشعر العباسي صور كثيرة لها معظمها مشرق وضاء وبعضها قاتم يعبر عن مواقف خاصة وأحداث قاسية مرت بها كالفتنة بين الامين والمأمون واجتياح المغول مغانيها الزاهرة ، وليس من السهل اليسير الوقوف على كل ما قيل فيها ، وقد أخذ هذا البحث الشعراء الكبار موردا ، ونلمس في غيرهم ما يكمل الصورة ويحقق الهدف ، وهو القاء ضوء على هذه المدينة العظيمة من خلال الشعر الذي يعد مصدرا من مصادر كتابة التأريخ .

وفي بغداد لغات هي : بغداد وبغداذ وبغدان ومغدان ومغداد ومغداذ ، وهي في هذه اللغات تذكر وتؤنث فيقال : هذه بغدان وهذا بغدان[1] . ولها اسم آخر هو مدينة السلام ، وقد سماها أبو جعفر المنصور بهذا الاسم ((لان دجلة كان يقال لها وادي السلام[2] ويقال لها الزوراء ، قال سلم الخاسر :

أَيْنَ ربُّ الزوراء اذ قلدتـــه الـــ ملك عشريـــن حجة واثنتـــــان[3]

وقال حيص بيص :

لقد علمت زوراء دجلة أننـــي وقور إذا خَفَّتْ حلوم العشائـــر[4]

---

(1) ينظر المذكر والمؤنث ج٢ ص٦٠- ٦٣ ، الزاهر ج٢ ص٣٩٨- ٤٠٠ ، تأريخ بغداد ج١ ص٥٩ ، ٦٢ ، معجم البلدان ج٢ ص٤٥٦ ، الشعر في بغداد ص١٢ وما بعدها .

(2) تأريخ بغداد ج١ ص٥٨ ، وينظر لطائف المعارف ص٨٩ ، معجم البلدان ج١ ص٢٥٦ .

(3) تأريخ بغداد ج١ ص٧٧ .

(4) ديوان حيص بيص ج١ ص١٠١ .

وقال الأرجاني :

طورا يرى زَوْرَ العراق وتارة يرمي العراق به الى زورائـــه[٥]

الاوصاف :

كان ابو جعفر المنصور الذي بويع له سنة ست وثلاثين ومائة قد ((ابتدأ أساس المدينة سنة خمس وأربعين ومائة واستتم البناء سنة ست واربعين ومائة وسماها مدينة السلام[٦])) وانتقلت اليها دار الخلافة وأصبحت حاضرة الدولة العباسية ، فكانت ((جنة الارض ، ومدينة السلام ، وقبة الاسلام ، ومجمع الرافدين ، وغرة البلاد ، وعين العراق ، ودار الخلافة ، ومجمع المحاسن والطيبات ، ومعدن الظرائف واللطائف ، وبها أرباب الغايات في كل فن ، وآحاد الدهر في كل نوع[٧])) وأعجب الناس بها وطفق الشعراء يتغنون بها ، وقد حفل الشعر العباسي بألوان زاهية تدل على حب عميق لها ، واعجاب عظيم بها ، فليس كمثلها مدينة كما قال أبو محمد بن زريق الكوفي الكاتب :

سافرت أبغي لبغداد وساكنها مثلا فحاولت شيئا دونـــه اليـــاس

هيهات بغداد الدنيا بأجمعها عندي وسكان بغداد هم النـــاس[٨]

---

[٥] ديوان الارجاني ج١ ص٥ ، وتنظر ص٢٤ ، ٣٥ ، ١٨٧ .

[٦] تأريخ بغداد ج١ ص٦٦ ، وينظر معجم البلدان ج١ ص٤٥٧ ، بغداد مدينة السلام ج١ ص٢٢٦ وما بعدها .

[٧] معجم البلدان ج١ ص٤٦١ ، اثار البلاد ص٣١٣ .

[٨] يتيمة الدهر ج٢ ص٣٧٧ ، لطائف المعارف ص١٧١ ، معجم البلدان ج١ ص٤٦١.

وليس كبغداد منزل ، قال أبو سعد محمد بن علي بن محمد بن خلف الهمداني :

فـدى لك يا بغـداد كـل قبيلـة ... من الارض حتى خطتي وديارِيـا

فقد طفت في شرق البلاد وغربها ... وسيرت رحلـي بينهـا وركابيـا

فلم أرَ فيها مثل بغـداد منـزلا ... ولم أرَ فيهـا مثـل دجلـة واديـا

ولا مثل أهليهـا أرق شمائـلا ... وأعذب ألفاظـا وأحلـى معانيـا

وكم قائل لو كان ودك صادقـا ... لبغداد لـم ترحل فكـان جوابيـا

يقيم الرجـال الاغنياء بأرضهـم ... وترمي النوى بالمقترين المراميا[٩]

وأخذت بغداد بمجامع قلب عمارة بن عقيل فأنشد فيها مشيدا بطيبها وحسن العيش فيها :

أعاينت في طول من الأرض والعرض

كبغـداد دارا أنهـا جنـة الارض

صفا العيش في بغـداد وأخضرّ عوده

وعيش سواها غيـر صـافٍ ولاغض

تطـول بها الاعمـار إن غذاءهـا

مريء وبعض الارض أمرؤ من بعض[١٠]

وما ذلك الا لانها دار الانس :

بغداد سقيـا لك من بـلاد ... يا دار دار الانس والاسعاد

---

[٩] تاريخ بغداد ج١ ص٥٢ ، معجم البلدان ص٤٦٤ .

[١٠] ديوان عمارة بن عقيل ص٩٧ ، تاريخ بغداد ج١ ص٥٢ ، ٦٨ ، لطائف المعارف ص١٧٢ ، معجم البلدان ج١ ص٤٦٠ ، اثار البلاد وأخبار العباد ص٣١٤ .

بدلت منك وحشة البوادي وقطع واد وورود واد[11]

وهي روضة أنف كما قال ابن الهبارية :

بغداد دار رياضها أنف والغيث في عنفوانها يكف[12]

وهي دار الهوى كما قال أيضا :

لهفي على بغداد دار الهوى فانني من حبها ما أفيق[13]

وهي موطن الهوى ، قال أبو تمام :

بالشام أهلي وبغداد الهوى وانا بالرَّقَتين وبالفسطاط إخواني[14]

وقال العباس بن الاحنف :

اذا ما كان في بغدا د مَنْ تهوى ويهواكا

فلا فرَّج عنك الله ـه إن لم تأت مثواكا[15]

وهي عنده موطن الجميلات :

ياشمس بغداد انني دنف اذ مات منك الوداد واللطف

كلفت بالشمس من رأى رجلا بالشمس يا قوم قلبه كاف[16]

وهي موطن الحسن واللهو :

يامجمع الحسن يابغداد يابلدي ما الصَّبْرُ عنك وعمن فيك بالحسن

يا خير موطن لهو كنت آلفه لازال مَغناك تسقى الغيث من وطن

---

[11] تاريخ بغداد ج١ ص٦٢ .

[12] خريدة القصر وجريدة العصر م١ ج٢ ص١٢٩ .

[13] خريدة القصر م١ ج٢ ص١٣٢ .

[14] ديوان أبي تمام ج٣ ص٣٠٩ .

[15] ديوان العباس بن الاحنف ص٢٠٦ .

[16] ديوان العباس ص١٨٨ .

كم من حبيب تركناه لديك وفي سكان دارك كم لي اليوم من سكن[١٧]

وكان أبو نواس من اكثر الشعراء حديثا عن لذات بغداد وطيبها ، وكان لايحب فراقها ولا يصبر عليه :

وقائل هل تريد الحج قلت لـه نعـم إذا فنيـت لـذات بغـداد[١٨]

ودفع طيب بغداد وأنسها زبيدة الى أن تطلب من الشاعر منصور النمري أن ينظم أبياتا في بغداد ليعود اليها هارون الرشيد الذي كان بالرقة ((وكان يستحسنها ويستطيبها فيقيم بها ، وأطال المقام بها مرة ، فقالت زبيدة للشعراء :

من وصف مدينة السلام وطيبها في أبيات يشوق أمير المؤمنين اليها أغنيته فقال في ذلك جماعة منهم النمري أبياتا أولها :

مـاذا ببغداد من طيب أفانين ومن عجائب للدنيـا وللديـن

اذا الصبا نفحت والليل معتكر فحرشت بين أغصان الرياحين

فوقعت أبياته من بين جميع ما قالوا ، وانحدر الرشيد الى بغداد ، فوهبت زبيدة للنمري جوهرة ، ثم دست اليه من اشتراها بثلثمائة ألف درهم))[١٩].

ويطول الحديث عن وصف بغداد وتبقى قبلة الانظار على الرغم مما مر بها من أحداث وكوارث ، وها هو أسامة بن منقذ (- ٥٨٤هـ) من أعيان القرن السادس للهجرة قد قال بها وهو متوجه الى مكة :

---

[١٧] حكاية ابي القاسم البغدادي ص٢٥ .

[١٨] ديوان أبي نواس ص١٦٧ ، وتنظر ص٣١٤ .

[١٩] طبقات الشعراء لابن المعتز ص٢٤٦ ، وينظر تأريخ بغداد ج١ ص٥١ - ٥٢ .

وصفوا لي بغداد حينا فلمـــا جئتها جئت أحســن البلـدان
منظر مبهج وقوم ســـــراة قد تحلوا بالحسن والاحسان[٢٠]

الجانبـــان :

وبغداد جانبان : الجانب الشرقي ، والجانب الغربي[٢١] ، وفيهما يقول علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني :

سقى جانبيّ بغداد أخلاف مزنة تحاكي دموعي صوبها وانحدارها
فلي فيهما قلب شجاني اشتياقه ومهجة نفس ما أمـل اذكارهـا
سأغفر للايـام كـل عظيمـة لئن قربت بعد البعـاد مزارهـا

وقال من قصيدة يتشوق فيها بغداد ، ويصف موضعه بناحية رامهرمز ، ويمدح صديقا له من أهلها :

سقى جانبي بغداد كـل غمامة يحاكي دموع المستهام هموعهـا
معاهد من غزلان أُنْسٍ تحالفت لواحظها أن لايداوى صريعهـا
بها تسكن النفس النفور ويغتدي بآنس من قلب المقيـم نزيعهـأ
يحن اليهـا كل قـلب كانمـا يشاد بحبات القلوب ربوعها[٢٢]

ومن لطيف ما قيل من شعر ، قول دعبل الخزاعي وقد ولى يحيى بن أكثم رجلين أعورين الجانبين الشرقي والغربي :

رأيت من الكبائر قاضييـــن همـا أحدوثـة في الخافقـين

---

[٢٠] ديوان أسامة بن منقذ ص١٦١ .

[٢١] للوقوف على هذين الجانبين ينظر خطط بغداد في العهود العباسية الاولى ، خطط بغداد في القرن الخامس الهجري ، خطط وأنهار العراق القديمة .

[٢٢] يتيمة الدهر ج٤ ص١٣ ، معجم الادباء ج٥ ص٢٥٥ – ٢٥٦ .

هما اقتسما العمى نصفين قدرا كما اقتسما قضاء الجانبيـن

وتحسب منهما من هَزَّ رأسـا لينظـر في مواريث وديـن

كأنك قـد جعلت عليه دنـا فتحت بزاله من فرد عين[٢٣]

وفي الجانب الغربي الكرخ ، ففي سنة سبع وخمسين ومائة ((نقل أبو جعفر الاسواق من المدينة ومدينة الشرقية الى باب الكرخ وباب الشعير والمحول وهي السوق التي تعرف بالكرخ ، وأمر ببنائها من ماله))[٢٤] . ويبدو أن الكرخ كان بعيدا عن المدينة المدورة ، يروى أن أبا دلف كان ((أيام المأمون مقيما ببغداد وكانت معه جارية أفادها من بغداد ، فاشتاق الى الكرخ فخاطبها في الخروج معه الى الكرخ فأبت عليه فقالت : ((بغداد وطني)) فلما عزم على الرحيل تمثل :

وسلام عليك ياظبية الكر خ أقمتم وحان منا ارتحـال

ومقام الكريم في بلد الهو ن إذا أمكن الرحيل محال[٢٥]

وفي ذلك قال الحموي : ((وكانت الكرخ أولا في وسط بغداد والمحال حولها ، فأما الآن فهي محلة وحدها مفردة في وسط الخراب وحولها محال الا انها غير مختلطة بها))[٢٦] . وأولع الشعراء بالكرخ وقالوا فيه شعرا كثيرا ، منهم أبو نواس الذي لهج بحاناته وخمره التي

---

[٢٣] ديوان دعبل الخزاعي ص٢٠٥ .

[٢٤] تأريخ بغداد ج١ ص٦٩ ، وتنظر ص٨٠ معجم البلدان ج٤ ص٤٤٨ ، بغداد مدينة السلام ج١ ص٢٤٣ ، ج٢ ص٣٨ وما بعدها .

[٢٥] كتاب بغداد ص١٣٣ .

[٢٦] معجم البلدان ج٤ ص٤٤٨ .

سماها ((الكرخية)) وجنائه وقراء ، ومنهم ابن المعتز الذي تغنى بالكرخ وما فيه من سحر وفتون .[٢٧]

قال أبو نواس يحن اليه وهو بمصر :

ذكر الكـــرخ نازح الاوطـــان ... فصبـــا صبـــوة ولات أوان
ليس لي مسعد بمصر على الشو ... ق الـــى أوجه هنـــاك حســـان
نازلات مـــن السراة فكرخـــا ... يا الى الشط ذي القصور الدواني[٢٨]

وحنَّ الشعراء الى الكرخ ودعوا له بالسقيا فقال محمد بن الحسين الوضاحي يذكر أهله ووطنه وهو في نيسابور :

سقى الله باب الكرخ ربعا ومنزلا ... ومن حله صوب السحاب المجلجل
ولازالت الانـــواء تهمي بويلهـــا ... على منزل من ربعه بعد منـــزل
فروت ريا الوضاح صوب عهادها ... وسحت عزاليها ببركة زلـــزل
وشيمت بباب الشام فيها لوامـــع ... لها أرج يجري بريا القرنفـــل
ديار بها يجني السرور جنايـــة ... وترتشف اللذات في كل منهـــل
وكائن بباب الكرخ من ذات وقفة ... قتول بعطفيها وحوراء عيطـــل
ومن مقلة عبـــرى لفقد أنيسهـــا ... ومن كبـد حرى وقلب معـــذل
فلو أن باكي دِمنة الدار بالـــوى ... وجارتهـــا أم الرباب بمأســـل
رأت عرصات الكرخ أوحل أرضها ... لامسك عن ذِكْرِ الدَّخول فحومل[٢٩]

---

(٢٧) ينظر ديوان أبي نواس ص٤ ، ١٥٣ ، ١٦٩، ١٧٢ ، ١٧٩ ، ٢٠٣ ، ٢٢٠ ، ٣٠٥ ، ٦٧٧ ، ٦٨٨ ، ٦٩٧ ، ٧٠٠ ، ديوان أشعار الامير أبي العباس عبد الله بن المعتز ج٢ ص٢٢٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٦٠ .

(٢٨) ديوان أبي نواس ص٤٧٦ .

(٢٩) تأريخ بغداد ج١ ص٢٤٢ .

وقال نفطويه :

سقى أربع الكرخ الغوادي بديمة وكـل ملث دائـم الهطل مسبـل

منازل فيها كل حسن وبهجـة وتلك لها فضل على كل منزل[٣٠]

وقال محمد بن داود الاصبهاني :

يهيم بذكر الكرخ قلبي صبابة وما هو إلا حب من حل بالكـرخ

ولست أبالي بالردى بعد فقدهم وهل يجزع المذبوح من ألم السلخ

وأضاف اليهما عبيد الله بن عبد الحافظ بيتين اخرين وهما :

أقول وقد فارقت بغداد مكرها سلام على أهـل القطيعة والكـرخ

هواي ورائي والمسير خلافه فقلبي الى كرخ ووجهي الى بلخ[٣١]

وحن الى الكرخ وهو بعيد في الاندلس علي بن زريق أبو الحسن الكاتب البغدادي فقال :

أستودع الله في بغداد لي قمرا بالكرخ من فلك الازرار مطلعه

ودعته وبودي أن يود عنـي صفو الحياة واني لا أودعه[٣٢]

وحن الشعراء الى الجانب الشرقي لما فيه من ذكريات جميلة أو أحبة ، قال العباس بن الاحنف :

أيا ساكني شرقي دجلة كلكم الى النفس من أجل الحبيب حبيب[٣٣]

---

(٣٠) تأريخ بغداد ج١ ص٨٢ .

(٣١) معجم البلدان ج٤ ص٤٤٨ .

(٣٢) طبقات الشافعية الكبرى ج١ ص٣٠٩ .

(٣٣) ديوان العباس بن الاحنف ص٢٩ .

وفيه الرصافة وتعرف بعسكر المهدي قال الحموي : ((وهي المحلة المعروفة اليوم ببغداد بالرصافة من محال الجانب الشرقي . قال ابن الفقيه : وبنى المنصور الرصافة في الجانب الشرقي للمهدي وكانت الرصافة تعرف بعسكر المهدي لانه عسكر بها حين شخص الى الري)) .[٣٤]

وفرغ من بنائها سنة أربع وخمسين ومائة ، وبنى المهدي قصره فيها ، وهو الذي قيل فيه :

كأني بهذا القصر قد باد أهلـــه وأوحش منه ركنه ومنازلـه

وصار عميد القوم من بعد بهجة وملك الى قبر عليه جنادله[٣٥]

وذكر العباس بن الاحنف الجانب الشرقي وعسكر المهدي فقال :

ألا انما أفنى الدموع تلفتي الى الجانب الشرقي من عسكر المهدي[٣٦]

وقال :

زعم الجاهلون بي أن قلبي بالجانب الشرقي صب عميد[٣٧]

وذكرا ابن نباتة السعدي باب الرصافة فقال :

سقيا لتغليســي الـــــى باب الرصـــافة وابتكـاري[٣٨]

---

[٣٤] معجم البلدان ج٤ ص١٢٤ ، وينظر ج٣ ص٤٦ ، تأريخ بغداد ج١ ص٨٣ .

[٣٥] تأريخ بغداد ج١ ص٨٢-٨٣ .

[٣٦] ديوان العباس ص٨٥ .

[٣٧] ديوان العباس ص٨٦ .

[٣٨] ديوان أبن نباتة السعدي ج٢ ص٦٠٠ .

المحـــلات :

وفي الشعر العباسي اشارات الى محلات بغداد ، ومن ذلك اشارة طاهر بن المظفر بن طاهر الخازن الى محلة حدد موقعها ولم يذكر اسمها فقال :

سقى الله صوب الغاديات محلة ببغداد بين الخلد والكرخ والجسر[٣٩]

وذكر أبو نواس عدة محال وأماكن في قوله :

وقائل هل تريد الحج قلت لـــه نعم اذا فنيت لذات بغـــداذ

أما وقطر بل منها بحيث أرى فقبة الفرك من أكناف كلواذ

فالصالحية فالكرخ التي جمعت شذاذ بغداد ماهم لي بشذاذ[٤٠]

وقال القاضي أبو الحسن علي بن النبيه :

آنست بالعـــراق بـــدرا منيـــرا فطوت غيهبا وخاضت هجيرا

واستطابت ربـــى نســـائم بغـــدا د فكادت لولا البرى أن تطيرا

ذكرت من مسارح الكرخ روضا لم يزل ناضرا ومـــاء نميـــرا

واجتنت من ربا المحول نـــورا واجتلت من مطالع التاج نورا[٤١]

وذكر العباس بن الاحنف الرصافة والميدان فقال :

بين الرصافة والميدان أرقبها شبت لغانيـــة بيضاء معطـــار

وذكر باب الشام فقال :

إيت من بغـــداد باب الشـــــ ـــام أو نهـــــر المعلـــــى

---

[٣٩] تاريخ بغداد ج١ ص٥٣ ، ينظر بغداد في الشعر العربي ص٢٤ .

[٤٠] ديوان أبي نواس ص١٦٧ .

[٤١] بغداد في الشعر العربي ص٣٢ .

وحدد موقع منزل فقال :

إن بالكرخ منزلاً لغـــزال بين قصر الامير والخيزران[٤٢]

وذكر ابن المعتز الكرخ والميدان وهو يحدد موقع منزل فقال :

بالكرخ والميدان لي منزل وجارتي القفص وقطر بـــل[٤٣]

وذكر علي بن الجهم الرصافة والجسر فقال :

عيون المهابين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري[٤٤]

وذكر شارع دجيل وفيه منزله ببغداد ، فقال ليلة وفاته وهو جريح :

أزيد في الليـــل ليـــــل أم ســـال بالصبـــــح ســـــيل

يا أخوتـــــي بدجيـــــل وأيـــن منـــــــي دجيـــــل[٤٥]

وذكر عمارة بن عقيل المخرم وهي محلة في الجانب الشرقي فقال :

ألا فاشتروا مني ملوك المخرم أبـــع حسنا وابني هشام بدرهم[٤٦]

وقال علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني يذكر بغداد ومحالها ويتشوقها :

يا نسيم الجنوب بالله بلـــغ ما يقـــــول المتيـــم المستهـام

قل لا حبابه فداكم فـــؤاد لبس يسلو ومقلـــــة لا تنـــام

بنتم فالسهاد عنـــدي مقيـم مذنأيتم والعيش عنـــدي حمـــام

---

[٤٢] ديوان العباس ص١١٠ ، ٢٣٠ ، ٢٨٢ .

[٤٣] ديوان أشعار الامير أبي العباس ج٢ ص٢٩٢ .

[٤٤] ديوان علي بن الجهم ص١٤١ .

[٤٥] ديوان علي ص١٧٠ ، وينظر تاريخ بغداد ج١١ ص٣٦٩ .

[٤٦] ديوان عمارة ص١٠٥ ، وذكرت الأبيات في ديوان دعبل ص١٩٥ .

فعلى الكرخ فالقطيعة فالشـــ ط فبـــاب الشعير مني السلام[٤٧]

وكان بالجانب الشرقي من بغداد محلة كبيرة تسمى ((باب الطاق ، كان بها سوق الطير فاعتقدوا ان من تعسر عليه شيء من الامور فاشترى طيرا من باب الطاق وأرسله سهل عليه ذلك الامر ، وكان عبد الله بن طاهر مقامه ببغداد ولم يحصل له اذن الخليفة ، فاجتاز يوما بباب الطاق فرأى قمرية تنوح ، فأمر بشرائها واطلاقها ، فامتنع صاحبها أن يبيعها ألا بخمسمائة درهم ، فاشتراها وأطلقها وأنشأ يقول :

ناحـت مطوقـة بباب الطـــاق فجرت سوابق دمعي المهراق
كانت تغـرد بالأراك وربمـــا كانت تغرد في فروع الســاق
فرمى الفراق بها العراق فأصبحت بعد الأراك تنوح في الأسواق
فجعت بافـــراخ فأسبل دمعهـــا إنَّ الدمـوع تبوح بالمشتـاق
تعس الفـراق وتب حبـل وتينـه وسقاه من سـم الاساود ساقي
مـاذا أراد بِقَصْـــدِهِ قُمْرِيَّـــةً لم تدر ما بغداد في الآفـــاق
بي مثل مابك ياحمامـــة فاسألي من فكَّ أسرك أن يحل وثاقي[٤٨]

الاســواق :

كان في هذه المحال وغيرها أسواق منها : سوق الصفارين ، وسوق الصيارفة ، وسوق العطارين ، وسوق الفرائين ، وسوق السلاح ،

---

[٤٧] يتيمة الدهر ج٤ ص١٢ ، وينظر معجم الادباء ج٥ ص٢٥٥ .

[٤٨] آثار البلاد ص٣١٥ ، وينظر معجم البلدان ج١ ص٣٠٨ . وفيه ((وقد روي أن صاحب القصة في اطلاق القمرية هو اليمان البندنيجي الشاعر النصرير مصنف كتاب (التقفية) وقد ذكرته في كتاب معجم الادباء)) . ينظر ج٧ ص٣٠٤ .

وسوق عبد الواحد ، وسوق العطش ، وسوق يحيى ، وسوق الحلائين[٤٩] .
ومنها الثلاثاء ((وسمي بذلك لانه كان يقوم عليه سوق لاهل كلواذى وأهل بغداد قبل ان يعمر المنصور بغداد في كل شهر مرة يوم الثلاثاء فنسب الى اليوم الذي كانت تقوم فيه السوق))[٥٠] وكان بهاء الدولة قد أمر ابن نباتة السعدي أن يعمل أبياتا على حيطان دار بناها بسوق الثلاثاء من الجانب الشرقي من بغداد يجري مجرى الدعاء له فقال :

كل ما تبتغيه سهل يسير ولك الله حافظ ومجير[٥١]

وذكر أبو العلاء المعري سوق العروس فقال :

ماذا أراد بِقَصْدِهِ قُمْرِيَّةٌ هم الناس لا سوق العروس ولا الشط[٥٢]

وقال الشاعر في سوق يحيى :

يانسيم الشمال من سوق يحيى لك عهد ممن أحب قريب[٥٣]

القصور :

كانت في بغداد قصور تسر الناظرين ، منها قصر الخلد ، وقصر القوارير ، وقصر التاج ، والقصر الجعفري ، وقصر الثريا وقصر

---

[٤٩] ينظر كتاب بغداد ص٩٨ ، معجم البلدان ج٣ ص٢٨٣ وما بعدها ، حكاية أبي القاسم البغدادي ص٢٢ ، ٨٧ .

[٥٠] معجم البلدان ج٣ ص٢٨٣ .

[٥١] ديوان ابن نباتة السعدي ج٢ ص١٤٤ .

[٥٢] شروح سقط الزند ج٤ ص١٦٣١ .

[٥٣] حكاية أبي القاسم البغدادي ص٢٣ .

وضاح ، وقصور الحريم[٥٤] . وقد ذكر بعضها الشعراء ولكنهم لم يتعمقوا في وصفها ، وكأنهم لم يروها من الداخل أو يسمعوا بما فيها من ألوان الرفاهية ، وقد وصف عمارة بن عقيل بغداد وأشار الى قصورها ودجلتها وما فيها من حراقات فقال :

ماذا ببغداد من طيب أفانيـــن ... ومـن عجائب للدنيـــا وللديـــن
ما بين قطر بل فالكرخ نرجسة ... تندى ومنبت خيـــري ونسريـــن
تحيا النفوس اذا أرواحها نفحت ... وحرشت بيـــن أوراق الرياحيـــن
سقيا لتلك القصور الشاهقات وما ... تخفي من البقـــر الانسية العيـــن
تستن دجلة فيما بينها فتـــرى ... دهم السفين تعالـــى كالبراذيـــن
مناظر ذات أبواب مفتحـــة ... أنيقـــة بزخـــا ريف وتزييـــن
فيها القصور التي تهوي بأجنحة ... بالزائرين الى القـــوم المزوريـــن
من كل حراقة يعلو فقارتهـــا ... قصر من الساج عالٍ ذو أساطين[٥٥]

وكان المنصور قد بنى قصر الخلد على دجلة سنة ثمان وخمسين ومائة وسمي ((الخلد تشبيها له بجنة الخلد وما يحويه من كل منظر رائق ، ومطلب فائق ، وغرض غريب ، ومراد عجيب ، وكان موضعه وراء باب خراسان)).[٥٦]

---

[٥٤] تنظر منازل الخلفاء وقصورهم في كتاب : معالم بغداد الادارية والعمرانية ص٩ وما بعدها .

[٥٥] ديوان عمارة ص١٠٧ ، وينظر معجم البلدان ج١ ص٤٦٢ .

[٥٦] تاريخ بغداد ج١ ص٧٥ ، ٨٠ ، ١١٥ .

وذكره أبو الشيص في رثاء الرشيد ومدح الامين فقال : ـ

بدران بدر أضحى ببغداد في الـ ـ خلد وبدر بطوس في الرمس[٥٧]

وقصر الخلد الذي قال فيه علي بن أبي هاشم الكوفي حينما مر به ونظر اليه : ـ

بنـوا وقـالوا لانمـو ت وللخـراب بنـى المُبَنِّـي

مـا عاقـل فيمـا رأيـ ت الى الخراب بمطمئـنِ[٥٨]

وقام المكتفي بالله بعد المعتضد ((ببناء التاج على دجلة ، وعمل وراءه من القباب والمجالس ما تناهي في توسعته وتعليته . ووافى المقتدر بالله فزاد في ذلك وأوفى مما أنشأه واستحدثه . وكان الميدان والثريا وكذاحير الوحوش متصلا بالدار)) .[٥٩]

وفي ذلك قال طاهر بن المظفر بن طاهر الخازن :

ودجلتها شطان قد نظما لنا بتاج الى تاج وقصر الى قصر[٦٠]

وبنى الخليفة المعتضد بالله الثريا في الجانب الشرقي من بغداد بالقرب من القصر الحسني وعلى بعد من قصر التاج وقد وصفه ابن المعتز فقال وهو يمدح المعتضد :

---

[٥٧] أشعار أبي الشيص ص٧٠ ، وينظر طبقات الشعراء ص٧٥ ، وفيه :

بدران هذا ببغداد في الـ خلد وبدر بطوس في الرمس

[٥٨] بغداد في الشعر العربي ص٥٥ .

[٥٩] تاريخ بغداد ج١ ص٩٩ .

[٦٠] معجم البلدان ج١ ص٤٦٣ .

سلمت أمير المؤمنين على الدهر ... ولا زلت فينا باقيا واسع العمر
حللت الثريا خير دار ومنزل ... فلا زال معمورا وبورك من قصر
فليس له فيما بنى الناس مشبه ... ولا ما بناه الجن في سالف الدهر
وما زال يرعاه الامام برأيه ... وبالعزم في التقدير والنهي والامر
فتم فما في الحسن شيء يزيده ... لسان ولا قلب بقول ولا فكر
ستثني عليه من محاسن قصره ... مدايح ليست من كلام ولا شعر
تشير الى رأي مصيب وحكمة ... وجود لدى الانفاق بالبيض والصفر
جنان و أشجار تلاقت غصونها ... وأوقرن بالاثمار والورق الخضر
ترى الطير في أغصانهن هواتفا ... تنقل من وكر لهن الى وكر
هجرن سواها كل دار عرفنها ... وحق لدار غير دارك بالهجر
وبنيان قصر قد علت شرفاته ... كصف نساء قد تربعن في الازر
وأنهار ماء كالسلاسل فجرت ... لترضع أولاد الرياحين والزهر
وميدان وحش تركض الخيل وسطه ... فتأخذ منها ما تشاء على قسر
اذا مارأت ماء الثريا ونبته ... نسين ذنوب الكلب فيهن والصقر[٦١]

وهذه رؤية خارجية للقصر وكأن ابن المعتز لم يهتز لما في قصور الخلفاء من رغد وطيب عيش ، وهو الامير الذي عاش في خير ونعيم ، ورأى ما في تلك القصور من رفاهية الحياة .

وبني قصر وضاح للمهدي قرب رصافة بغداد ((وقد تولى النفقة رجل من أهل الانبار يقال له وضاح فنسب اليه ، وقيل : الوضاح من موالي المنصور . وقال الخطيب : لما أمر المنصور ببناء الكرخ قلد ذلك

---

[٦١] ديوان أشعار الامير أبي العباس ج١ ص٤٧٧ .

رجلا يقال له الوضاح بن شبا فبنى القصر الذي يقال له الوضاح والمسجد فيه)) وهذا يدل على أن قصر الوضاح بالكرخ وذكره علي بن الجهم فقال :

سقى الله باب الكرخ من متنزه الى قصر وضاح فبركة زلزل[٦٢]

وذكر أحد الشعراء ((قصر الرصافة)) فقال :

أرى الحب يبلي العاشقين ولا يبلى ونار الهوى في حبة القلب ما تطفى
تُهيجني الذكرى فأبكي صبابةً وأي محب لا تهيجه الذكرى
أقول وقد أسكبت دمعي وطالما شكوت الهوى مني فلم تنفع الشكوى
أيا حائطي قصر الرصافة خَلِّيا لعيني عساها أن ترى وجه من تهوى[٦٣]

وقال مطيع بن أياس في جارية خرجت من قصر الرصافة وحواليها وصائف يرفعن أذيالها :

لما خرجن من الرصا فة كالتماثيل الحسان
يخفقن أحور كالغزا ل يميس في جدل العنان
قطعن قلبي حسرة وتقسما بين الاماني[٦٤]

وكانت في حريم دار الخلافة العباسية ببغداد قصور أشار اليها مسعود ابن العلاء بن علي المعروف بالخباز فقال :

وبالحريم قصور لو تأملها رضوان لاختار من تلك الافانين
حسبي ببغداد دار والحريم حمى من طارقات صروف الدهر يكلوني[٦٥]

---

[٦٢] معجم البلدان ج٤ ص٣٦٤ ، ديوان علي بن الجهم ص٥٥ .

[٦٣] معجم البلدان ج٣ ص٤٧ .

[٦٤] الاغاني ج٣ ص٢٨٩ .

[٦٥] خريدة القصر م٢ج٣ ص٢٢٤-٢٢٥ .

الانهـــار :

كانت في بغداد أنهار منها : نهر الصراة ، ونهر خندق طاهر ، ونهر كَرْخايا ، ونهر رزين ، ونهر العمود ، ونهر الدجاج ، ونهر قطيعة الكلاب ، ونهر موسى ، ونهر المعلى ، ونهر المهدي .[٦٦]

وفي الشعر العباسي اشارات الى بعض هذه الانهار منها نهر المعلى الذي قال فيه العباس بن الاحنف :

ليت من بغداد باب الشـــ ... أم أو نهـــر المعلَّـــى[٦٧]

ونهر بوق الذي قال فيه ابن الرومي :

وقد لقبوه نهر بوق تعسفا ... وفي الوغد أشباه من البوق والنهر[٦٨]

ونهر بيل الذي قال فيه آدم بن عبدالعزيز بن عمر بن مروان :

هات فاشر بها خليلي ... في مدى الليل الطويل

قهوة من أصل كـــرم ... سبئت من نهر بيل[٦٩]

ويسمى نهر بين ، قال ياقوت : ((نهر بين بالنون وهو لغة في الذي قبله))[٧٠] ، قال أبو حنش :

تسابقت الجدود بنهر بين ... فبرز عنـــد ذلك جد زنجـــى

وأقبل جد مروان فصلى ... على تعب يزجيه المزَجي[٧١]

---

[٦٦] ينظر تأريخ بغداد ج١ ص١١١ وما بعدها ، معجم البلدان ج٥ ص٣١٥ وما بعدها.

[٦٧] ديوان العباس ص٢٣٠ .

[٦٨] ديوان ابن الرومي ج٣ ص٩٦٥ .

[٦٩] تاريخ بغداد ج٧ ص٢٦ ، معجم البلدان ج٥ ص٣١٨ .

[٧٠] معجم البلدان ج٥ ص٣١٨ .

[٧١] تاريخ بغداد ج١٢ ص٢٢٧ .

وقال علي بن الجهم :

جاوزت نهر بين والنهروانا أجلولا تـؤم أم حلوانـا[٧٢]

وذكر الراضي بالله نهري الصراة وكرخايا فقال :

بين الصراة وكرخايا تمرده والعيش من نكبات الدهر معصوم[٧٣]

ووصف الشعراء ماء بغداد ، وتحسر عليه ابو اسحاق الصابي ، وقارن بينه وبين ماء البصرة فقال :

لهف نفسي على المقام ببغد اد وشر بي من ماء كوز بثلـج

نحن بالبصرة الذميمة نسقى شر سقيا من مائهـا الاترتجـي

أصفر منكر ثقيـل غليـظ خاثـر مثل حقنـة القولنـج

كيف نرضى بمائها وبخيـر منه في كنف أرضنا نستنجي[٧٤]

وقال أبو نواس الذي شرب ماء بغداد فأنساه أحبابه :

أيا من كنت بالبصر ة أصفي لهـم ودا

ومن كان موالـي ومن كنت له عبـدا

ومن قد كنت أرعاه وإن ملَّ وإن صـدا

شربنا ماء بغـداد فأنساناكـم جـدا[٧٥]

وشبه أبو العلاء المعري ماء الكرخ بالخمرة فقال :

وماء بلادي كان أنجع مشربا ولو أن ماء الكرخ صهباء جريال[٧٦]

---

[٧٢] ديوان علي بن الجهم ص١٨٦ .

[٧٣] اخبار الراضي ص١٨١ .

[٧٤] يتيمة الدهر ج٢ ص٢٦٩ ، وينظر بغداد في الشعر العربي ص٣٠ .

[٧٥] ديوان أبي نواس ص٥٤٧ .

[٧٦] شروح سقط الزند ج٣ ص١٢٥٤ .

وكانت في بغداد بركة زلزل التي قال علي بن الجهم فيها :

سقى الله باب الكرخ من متنزه الى قصر وضاح فبركة زلزل[٧٧]

وقال ابراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه :

لو ان زهيرا وامرأ والقيس أبصرا ملاحة ما تحويه بركة زلزل

لما وصفا سلمى ولا أم سالم ولا اكثرا ذكر الدخول فحومل[٧٨]

وتغنى الشعراء بدجلة فقال السلامي وقد ركب زوقا فيها :

وميدان تجول به خيول تقود الدارعين ولا تقاد

ركبت به الى اللذات طرفا له جسم وليس له فؤاد

جرى فحسبت أنّ الارض وجه ودجلة ناظر وهو السواد[٧٩]

وقال القاضي التنوخي يصف دجلة والقمر يلمع عليها :

لم أنس دجلة والدجى متصوب والبدر في أفق السماء مغرب

فكأنها فيه بساط ازرق وكأنه فيها طراز مذهب[٨٠]

وأشار الارجاني الى شطي بغداد فقال :

سروا بسفن في البيد مسبحها وعند شطي بغداد مرفؤها[٨١]

وفي الشعر ذكر للسفن والحراقات ، وهي تجري في دجلة كالبراذين ، قال عمارة بن عقيل :

تستن دجلة فيما بينها فترى دهم السفين تعالى كالبراذين[٨٢]

---

[٧٧] ديوان علي ص٥٥ .

[٧٨] تاريخ بغداد ج١ ص٨٨ .

[٧٩] بغداد في الشعر العربي ص٣٦ .

[٨٠] معجم الادباء ج٥ ص٣٣٥ .

[٨١] ديوان الارجاني ج١ ص٨٩ .

[٨٢] ديوان عمارة ص١٠٨ .

وقال أبو نواس يصف الحراقات وهو يمدح الخليفة الامين :

سخـــر الله للأميـــن مطايـــا ... لم تسخر لصاحب المحـــراب
فاذا ما ركابه ســـرن بـــرا ... سار في الماء راكبا ليث غاب
أســـدا باسطا ذراعيه يعـــدو ... أهرت الشدق كالح الانيـــــاب
لايعانيه باللجام ولا السـو ... ط ولا غمز رجله في الركاب
عجب الناس اذ رأوه على صو ... رة ليـــث يمر مـــر السحـــاب
سبحوا اذ رأوك سرت عليه ... كيف لو أبصروك فوق العقاب
ذات زَور ومنسر وجناحيـــ ... ن تشق العباب بعد العبـــاب
تسبق الطير في السماء اذا ما أسـ ... تعجلوها بجيئة وذهـــاب[٨٣]

وقال علي بن جبلة المعروف بالعكوك :

عجبت لحراقة ابن الحســـ ... ين كيف تعوم ولا تغـرق
وبحران من تحتهما واحـــد ... وآخر مـــن فوقها مطبـق
وأعجب من ذاك عيدانهـــا ... وقد مَسَّها كيف لاتورق[٨٤]

وسماها ابن المعتز خيل ماء فقال :

بالكرخ والميدان لي منزل ... وجارتـــي القفص وقطربـــل
وخيل ماء لي طيـــارة ... تدبر بـــي إنْ شئت أو تقبـــل
تلاطم الماء مجا ذيفهـــا ... موقرة حاملـــة تحمـــــل
غايتها قصر حميد وفـــي ... بستان بشر دهرها الاطـــول

---

[٨٣] ديوان أبي نواس ص٤١٤ .

[٨٤] شعر علي بن جبلة ص١٦٢ ، وينظر طبقات الشعراء ص١٨٩ ؛ وفي معجم الادباء ج٦ ص٩٦ : ((ان اسباب اتصال عوف بن محلم بطاهر بن الحسين انه نادى على الجسر بهذه الآبيات في ايام الفتنة ببغداد وطاهر ينحدر في حراقة في دجلة فسمعها منه فادخله وانشده أياها)) والابيات في وفيات الاعيان ج٢ ص٢٠٢ لمقدس بن صيفي الخلوقي .

وأن تجد من ماصر غفلة تطر الى القفص ولا تعـدل[٨٥]

وقال ابن الحجاج مخاطبا سفن بغداد :

ياسفن بغداد روحي جد عالمـــة بان قلبي فيك اليوم قد راحـــا

يا سفن ماضر فيك المصعدين وقد مدوك لو جعلوني منك ملاحـا[٨٦]

الجســـور :

كانت في بغداد عدة جسور ففي سنة ((سبع وخمسين ومائة ابتنى أبو جعفر قصره الذي يعرف بالخلد وفيهاعقد الجسر عند باب الشعير)) وأمر ((بعقد ثلاثة جسور للنساء ، ثم عقد لنفسه وحشمه جسرين بباب البستان ، وكان بالزندورد جسران عقدهما محمد ، وكان الرشيد قد عقد عند سويقة قاطوليا . فلم تزل هذه الجسور الى أن قتل محمد ثم عطلت وبقي منها ثلاثة الى ايام المأمون ثم عطل واحد)) . وكان أحد هذه الجسور الثلاثة محاذيا ((سوق الثلاثاء وآخر بباب الطاق والثالث في أعلى البلد عند الدار المعزية محاذي الميدان)) وهو الذي ((نقل الى الفرضة بباب الطاق فصار هناك جسران يمضي الناس على أحدهما ، ويرجعون على الآخر)) . قال علي بن الفرج الفقيه الشافعي :

أيا حبذا جسر على متن دجلة باتقان تأسيس وحسن ورونـــق

جمال وفخر للعراق ونزهـــة وسلوة من أضناه فرط التشـــوق

تراه اذا ما جئته متأمـــــلا كسطر عبير خط في وسط مهرق

او العاج فيه الآبنوس مرقش مثال فيول تحتها أرض زئـــبق

---

[٨٥] ديوان أشعار الامير أبي العباس ج٢ ص٢٩٢ .

[٨٦] حكاية أبي القاسم البغدادي ص٨٩ .

وقال المحسن التنوخي :

يوم سرقنا العيش فيه خلسة ... في مجلس بغناء دجلة مفـــرد
زق الهواء برقة قدامـــه ... فغدوت رقا للزمـــان المسـعد
فكأنّ دجلة طيلســان أبيض ... والجسر فيها كالطراز الاسود[٨٧]

وزالت هذه الجسور وبنيت غيرها جسور[٨٨] ، ولكن الجسر الذي ذكره علي بن الجهم ظل شاخصا في الاذهان كلما قرئ البيت :

عيون المهابين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

الجـــو :

وصف الشعراء جو بغداد ، فمنهم من أثنى عليه ، ومنهم من تَذَمَّرَ منه قال الشاعر :

طيب الهواء ببغداد يشوقنـــي ... قربا اليهـــا وان عاقت مقاديـــر
وكيف أرحل عنها اليوم اذ جمعت ... طيب الهواءين ممدود ومقصور[٨٩]

وقال طاهر بن المظفر بن طاهر الخازن في وصف بغداد وهوائها ودجلتها ومائها :

سقى الله صوب الغاديات محلـــة ... ببغداد بين الكرخ فالخلد فالجســر
هي البلدة الحسناء خصت لأهلها ... بأشياء لم يجمعن مذكن في مصر
هواء رقيق في اعتدال وصحـــة ... وماء له طعم ألـــذ من الخمـــر
ودجلتها شطآن قـــد نظمـــا لنـــا ... بتاج الى تاج وقصـــر الى قصـــر
تراها كمسك والميـــاه كفضـــة ... وحصباؤها مثل اليواقيت والدر[٩٠]

---

[٨٧] تأريخ بغداد ج١ ص١١٦-١١٧ .

[٨٨] تنظر جسور بغداد في كتاب معالم بغداد الادارية والعمرانية ص٢٧٣ وما بعدها .

[٨٩] تأريخ بغداد ج١ ص٥٤ .

[٩٠] تأريخ بغداد ج١ ص٥٣ ، وينظر معجم البلدان ج١ ص٤٦٣ .

وقال ابن الرومي في نسيم بغداد :

عاد عودي الى ثراه القديم ... وصفت لذتي وطاب نعيمي

وتنسمت من مشارق بغدا ... د نسيما يشفي رداع السقيم[٩١]

وقال الأبيوردي :

فكأنها جليت علينا جنة ... وكأنّ دجلة فاض فيها الكوثر

وهواؤها أرج النسيم وتربها ... مسك تهاداه الغدائر أذفر[٩٢]

وضاق ابن المعتز بجو بغداد وبعوضها فقال :

كيف نومي وقد حللت ببغدا ... د مقيما في أرضها لا أريم

ببلاد فيها الركايا عليها ... نّ أكاليل من بعوض تحوم

جوها في الشتاء والصيف والفص ... ل دخان وماؤها يحموم[٩٣]

كما ضاق بعضهم ببراغيثها فقال :

لقد علم البرغوث حين يعضني ... ببغداد أني بالبلاد غريب[٩٤]

ووصف الطاهر بن الحسين جو بغداد بالقسوة فقال :

زعم الناس أن ليلك يابغ ... داد ليل يطيب فيه النسيم

ولعمري ما ذاك إلاّ لأن خا ... لفها بالنهار منك السموم

وقليل الرخاء يَتْبَعُ الشد ... ة عند الأنام خطب عظيم[٩٥]

---

[٩١] ديوان ابن الرومي ج٦ ص١٤١٧ .

[٩٢] ديوان الابيوردي ج١ ص٣٤٥ .

[٩٣] ديوان اشعار الامير ابي العباس ج٢ ص٤٦٣ .

[٩٤] الحيوان ج٥ ص٣٨٧ ، وتنظر ص٣٨٨ .

[٩٥] معجم البلدان ج١ ص٤٦٤ .

ولكن أبا العلا المعري حبذ جو بغداد وإن كان حارا ، قال :

نعم حبذا قيظ العراق وان غدا يبث جمارا في مقيل ومضجع[٩٦]

وكان صديق لمطيع بن اياس قد دعاه الى بستان له بكلواذى ، فمضى اليها فلم يستطبها فقال يهجوها :

حبذا عيشنا الذي زال عنـــا حبذا ذاك حين لا حبـــذا ذا

أين هذا من ذاك ؟ سقيا لهذا ك ولسنا نقول سقيا لهـــذا

زاد هذا الزمان شرا وعسرا عندنـــا اذ أحلنـــا بغـــــداذا

بلدة تمطر التراب على القو م كما تمطر الشمال السرذ اذا

فاذا ما أعـــاذ ربي بـــــلادا من عذاب كبعض ماقد أعاذا

خربت عاجلا كما خرب الله بأعمال أهلها كلـــــو اذا[٩٧]

وتمنى بعضهم أن يخرج من بغداد لكي لا يرى التراب الذي تذروه البغال والحمير فقال :

هل الله من بغداد ياصاح مخرجي فأصبح لا تبدو لعيني قصورها

وميدانها المذري علينا ترابهـــا اذا شحجت أبغالها وحميرها[٩٨]

وهذا غير ما قاله الآخر في تراب بغداد :

أرض كـــأن ترابهـــا أبدا بماء الورد يسقـــــى

وتموت أنـــوار الريـــا ض ونورها ماشئت يبقـــى

وكأن تربـــة أرضها اجـــ تذبت من الكافور عرقا[٩٩]

---

[٩٦] شروح سقط الزند ج٤ ص١٥٤٨ .

[٩٧] تأريخ بغداد ج١٣ ص٢٢٥- ٢٢٦ ، وينظر الأغاني ج١٣ ص٣١٥ ، ٣٢٠ .

[٩٨] معجم البلدان ج١ ص٤٦٥ .

[٩٩] حكاية أبي القاسم البغدادي ص٢٥ .

وقال آدم بن عبد العزيز الاموي في البراغيث ببغداد :

تطاول في بغداد ليلي ومن يكن ... ببغـداد يلبث ليله غير راقـد

بلاد اذا جن الظلام تقافـزت ... براغيثها من بين مثنى وواحـد

ديازجة شهب البطون كأنهـا ... بغال بريد أرسلت في مذاود[١٠٠]

وقال أعرابي :

فأصبحت سالمت البراغيث بعدما ... مضت ليلة مني طويل رقودهـا

قواطن عندي كلما ذر شـارق ... ببغداد أنباط القرى وعبيدها[١٠١]

ووصف علي بن الجهم ديمةً رَوَّتْ بغداد فقال :

وسارية ترتاد أرضا تجودهـا ... شغلت بها عينا قليلا هجودهـا

أنتنابها ريح الصبا وكأنهـا ... فتاة تزجيها عجـوز تقودهـا

تميس بها ميسا فلاهي إنْ ونت ... نهتها ولا إنْ اسرعت تستعيدها

اذا فارقتها ساعة ولهت بهـا ... كأم وليد غاب عنها وليدهـا

فلما أضرت بالعيون بروقهـا ... وكادت تصم السامعين رعودها

وكادت تميس الارض إما تلهفا ... وإما حذارا أن يضيع مر يدهـا

فلما رأت حر الثرى متعقـدا ... بمازل منها والربى تستريدهـا

وأن أقاليـم العـراق فقيـرة ... اليها أقامت بالعـراق تجودهـا

فما برحت بغداد حتى تفجرت ... بأوديـة ما تستفيق مدودهـا

وحتى رأينا الطير في جنباتها ... تكاد أكف الغانيـات تصيدهـا

---

[١٠٠] الحيوان ج٥ ص٣٠٩ ، وينظر تأريخ بغداد ج٧ ص٢٦ ، حكاية أبي القاسم البغدادي ص١٠٦ .

[١٠١] حكاية أبي القاسم البغدادي ص١٠٦ .

وحتى اكتست من كل نور كأنها عروس زهاها وشيها وبرودهـا
دعتها الى حل النطاق فأرعشت اليها وجـرت سمطها وفريدهـا
ودجلة كالدرع المضاعف نسجها أتاها من الريح الشمال بريدها[١٠٢]

وقدم أحد الهجريين بغداد فاستوبأها وقال :

أرى الريف يدنو كل يوم وليلة وأزداد من نجـد وساكنه بعـدا
ألا ان بغـدادا بلاد بغيضـة اليَّ وأن أمست معيشتهـا رغـدا
بلاد ترى الارواح فيها مريضة وتزداد نتنا حين تمطر أو تندى[١٠٣]

ووصف ابن المعتز ثلجا سقط ببغداد فقال :

من لامني اليوم في سكر فلا عذرا هات الكبير وغيري فاسقِ ماصغرا
غـدت مبكـرة للمزن فاحتجبـت شمس النهار ولم تعرف لها خبرا
حتى اذا أثقلت حمـلا وما بقيـت أرض ببغداد إلاّ ترتجي مطـرا
واغرو رقت لانسكاب الماء مقلتها جاءت بثلج كورد أبيض نثرا [١٠٤]

وقال الشريف في سقوط الثلج ببغداد الذي لم يرمثله وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وثلثمائة :

أرى بغداد قد أخنى عليها وَصَبَّحَها بغارته الجليـد
كأن ذرى معالمها قلاص نواء كشطت عنها الجلود
كأن به لغام العيس باتت تساقطه عجال الرجع قود
غَطَى قسم النجاد فكل واد على نشزاته سِبَبٌ جديـد

---

[١٠٢] ديوان علي ص٥٦-٥٨ .
[١٠٣] معجم البلدان ج١ ص٤٦٦ .
[١٠٤] ديوان أشعار الامير أبي العباس ج٢ ص١٧٩ .

كما تعرى به الغيطان محلا وتغبر التهايم والنجود
فمهما شئت تنظر من رباها الى بيض عواقبهن سود
أقول له وقد أمسى مكبا على الاحسان والايدي جمود
وراءك فالخواطر باردات على الاقطار يضعف أو يزيد
وانك لو تروم مزيد برد الى برد لأعوزك المزيد[١٠٥]

المغاني :

عرفت بغداد بمتنزهاتها وكانت تجلب اليها الناس وتحببها اليهم ، ومن ذلك أن زبيدة قالت لمنصور النمري : قل شعرا تحبب فيه بغداد الى أمير المؤمنين الرشيد فقد اختار عليها الرافقة – الرقة – فقال :

ماذا ببغداد من طيب الافانين ومن منازه للدنيا وللدين
تحيي الرياح بها المرضى اذا نسمت وجوشت بين أغصان الرياحين[١٠٦]

وكان في باري بنواحي بغداد بساتين ومتنزهات يقصدها أهل البطالة ، قال الحسين بن الضحاك الخليع :

أحب الفيء من نخلات باري وجوسقها المشيد بالصفيح
ويعجبني تناوح أركتيها اليّ بريح حوذان وشيح
ولن أنسى مصارع للسكارى ونادبة الحمام على الطلوح
وكأسا في يمين عقيد ملك تزين صفاته غرر المديح[١٠٧]

---

[١٠٥] ديوان الشريف الرضي ج١ ص٤٠٦ .

[١٠٦] تأريخ بغداد ج١ ص٥١ ، ٥٢ ، والبيتان في ديوان عمارة بن عقيل ص١٠٧ .

[١٠٧] أشعار الخليع الحسين بن الضحاك ص٣٦ ، وينظر معجم البلدان ج١ ص٣٢١ .

ودخل احمد بن محمد اليزيدي على المأمون بـ ((قـارا)) وهـو يريد الغزو فأنشده شعرا ذكر فيه ((باري)) و ((القفص)) وهمـا مـن مواطن اللهو في نواحي بغداد :

ياقصر ذي النخلات من بارا	إني حننـت اليك من قـارا
ابصرت أشجارا على نهـر	فذكرت أنهـارا وأشجـارا
لله أيام نعمـت بهـا	في القفص أحيانا وفي بارا[١٠٨]

الديـــارات :

كانت الديارات تنتشر حول بغداد ، وكان الشعراء يؤمونها لقضاء الوقت والتنزه والراحة ، وقد تحدثوا عن مرحهم وسعادتهم وهو يطوفـون فيها . ومن تلك الديارات دير درمالس في رقة باب الشماسية وفيه أحسـن عيد ((يجتمع نصارى بغداد اليه ولا يبقى أحد ممن يحب اللهو والخلاعة إلاّ تبعهم ، ويقيم الناس فيه الايام ويطرقونه في غير الاعياد))[١٠٩] ، وفيه قال ابو عبد الله بن حمدون النديم :

يادير درمالس ما أحسنك	ويا غزال الدير ما أفتنك

ودير سمالو بباب الشماسية على نهـر المهـدي ، وهـو احـد متنزهات بغداد المشهورة ، قال محمد بن عبد الملك الهاشمي فيه :

ولرب يوم في سمالو تم لي	فيه السرور وغيبت أحزانه[١١٠]

---

[١٠٨] معجم الادباء ج٢ ص٤٣ .

[١٠٩] الديارات ص٤ ، معجم البلدان ج٢ ص٥٠٩ .

[١١٠] الديارات ص١٤ ، معجم البلدان ج٢ ص٥١٦ .

وقال خالد بن يزيد الكاتب :

يامنزل القصف في سمالو ماليي عن طيبك انتقال

وآهاً لاياماك الخوالي والعيش صاف بها زلال[١١١]

ودير الثعالب وهو بالجانب الغربي ((وأهل بغداد يقصدونه ويتنزهون فيه ، ولا يكاد يخلو من قاصد وطارق ، وله عيد لا يتخلف عنه أحد من النصارى والمسلمين))[١١٢] ، ولابن الدهقانة الهاشمي فيه :

دير الثعالب مألف الضُلال ومحل كل غزالة وغزال

ودير الجاثليق ((وهو دير كبير حسن نزه ، تحدق به البساتين والأشجار والرياحين ، وهو يوازي دير الثعالب في النزهة والطيب وعمارة الموضع لانهما في بقعة واحدة[١١٣]، ولمحمد بن أمية الكاتب فيه :

تذكرت دير الجاثليق وفتية بهم تم لي فيه السرور وأسعفا

ودير مديان وهو على نهر كرخايا ((وهو دير حسن نزه حوله بساتين وعمارة[١١٤] ، وللحسين بن الضحاك فيه :

يادير مديان لاعريت من سكن ماهجت من سقم يادير مديانا[١١٥]

ودير أشمونى ((وعيده اليوم الثالث من تشرين الاول ، وهو من الايام العظيمة ببغداد يجتمع أهلها اليه كاجتماعهم الى بعض أعيادهم ،

---

[١١١] الديارات ص١٥ ، وينظر ديوان خالد الكاتب ص٥٢٣ .

[١١٢] الديارات ص٢٤ ، وتنظر ص٣٤٣ ، معجم البلدان ج٢ ص٥٠٢ .

[١١٣] الديارات ص٢٨ ، معجم البلدان ج٢ ص٥٠٣ .

[١١٤] الديارات ص٣٣ ، معجم البلدان ج٢ ص٥٣٣ .

[١١٥] أشعار الخليع ص١١٦ .

ولا يبقى أحد من أهل الطرب واللعب إلاّ خرج اليه[116])) ، ولجحظة البرمكي فيه :

سقيا لأشمونى ولذاتها والعيش فيها بين جناتها

ودير سابر وهو في الجانب الغربي ، وللحسين بن الضحاك فيه :

في دير سابر والصباح يلوح لي فجمعت بدرا والصباح وراحا[117]

ودير قوطا وهو بين البردان وبغداد ، وهو نزه كثير البساتين والمزارع ، وفيه قال عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع :

يادير قوطا لقد هيجت لي طربا أزاح عن قلبي الاحزان والكربا[118]

ودير مرجرجس ((والمتنزهون من أهل بغداد يخرجون اليه دائما في السميريات لقربه وطيبه ، وهو على شاطئ دجلة))[119] وللنميري فيه :

نزلْتُ بمرما جرجس خير منزل ذكرت به أيام لهو مضين لي

ودير الروم وهو بالجانب الشرقي ، ولمدرك بن علي الشيباني فيه :

وجوه بدير الروم قد سلبت عقلي فأصبحت في خبل شديد من الخبل[120]

ودير الزَنْدَوَرْد وهو في الجانب الشرقي ، وهو مشهور بالكروم ، وفيه قال أبو نواس :

فسقني من كروم الزَنْدَ وَرْد ضحى ماء العناقيد في ظل العناقيد[121]

---

[116] الديارات ص٤٦ ، معجم البلدان ج٢ ص٤٩٨ .

[117] الديارات ص٥٤ ، معجم البلدان ج٢ ص٥١٣ ، أشعار الخليع ص٣٧ .

[118] الديارات ص٦٢ ، معجم البلدان ج٢ ص٥٢٩ .

[119] الديارات ص٦٩ .

[120] معجم البلدان ج٢ ص٥١١ ، وينظر ذيل الديارات ص٣٣٧ .

[121] معجم البلدان ج٢ ص٥١٣ ، وينظر ذيل الديارات ص٣٢٨ .

ودير دُرتا وهو في غربي بغداد يحاذي باب الشماسية ، وفيه قال أبو الحسين احمد بن عبيد الله البديهي :

قد أدرنا بدير درتا وقَدَّ سْـ نا مُجونا إذ قدست رهبانـه[١٢٢]

ودير القباب وفيه قال ابن حجاج :

ياخليلي صرفالي شرابـي بين درتا والديردير القبـاب[١٢٣]

القيـــان :

ولم ينس الشعراء حياة الترف واللهو في بغداد ، فصوروها في قصائدهم ، وذكروا مجالس القصف والمغنيات البارعات ، وهم في ذلك يصورون جانبا من حياة حاضرة الدولة العباسية ، وما كان عليه النـاس من متع ورفاهية . اذ كانت ((دجلة مشحونة بالمراكب وبالزوارق ، محفوفة بالقصور والجواسق ، يرتفع ما بينها أصوات الاغاني وخفقات النايات والسواني ، وأصوات الملاحين .. إنْ رأيت ترى ــ والله ــ جمالا وكمالا ، وتسمع من ألحانها الشجية سحرا حلالا :

من أي أقطارها أتيت رأيـــ ـت الحسن حيران في جوانبها

هذا سوى شط الفراة ومطالع الفرات))[١٢٤]. وجاء في الليلة الثامنة والعشرين من كتاب الامتاع والمؤانسة ((وقد أحصينا ونحن جماعة في الكرخ أربعمائة وستين جارية في الجانبين ، ومائة وعشرين حرة وخمسة وتسعين من الصبيان البدور يجمعون بين الحذق والحسن والظرف

---

[١٢٢] معجم البلدان ج٢ ص٥٠٨ وتنظر ص٤٤٩ .

[١٢٣] معجم البلدان ج٢ ص٥٢٦ .

[١٢٤] حكاية أبي القاسم البغدادي ص٢٣-٢٤ .

والعشرة ، هذا سوى من كنالا نظهر به ولا نصل اليه لعزته وحرسه ورقبائه ، وسوى ما كنا نسمعه ممن لا يتظاهر بالغناء وبالضرب اذا نشط في وقت أوثمل في حال وخلع العذار في هوى قد حالفه وأضناه وترنم وأوقع وهز رأسه وصعد أنفاسه وأطرب جلاسه ، واستكتمهم حاله وكشف عندهم حجابه ، وادعى الثقة بهم والاستنامة الى حفاظهم)) .[١٢٥]

ولكثرة القيان في بغداد قال بكر بن النطاح :

اذا شئتُ غنتني ببغداد قينة وإن شئت غناني الحمام المطوق[١٢٦]

وكان أبو نواس من أكثر الشعراء ميلا الى المتعة قال :

سقيا لبغداد وايامها إذ دهرنا نطريه بالقَصْفِ
مع فتية مثل نجوم الدجى لم يطبعوا يوما على خسف[١٢٧]

ووصف علي بن الجهم مجلسا للقيان فقال :

نزلنا بباب الكرخ أفضل منزل على محسنات من قيان المفضل
فلابن سُريج والغريض ومعبدٍ ودائع في آذاننا لم تبدل
أوانس ما فيهن للضيف وحشة ولا ربهن بالمهيب المبجل
يسر اذا ما الضيف قل حيأوه ويغفل عنه وهو غير مغفل
ويكثر من ذم الوقار وأهله اذا الضيف لم يأنس ولم يتبذّلِ

ثم قال :

سقى الله باب الكرخ من متنزه الى قصر وضاح فبركة زلزل

---

[١٢٥] الامتاع والمؤانسة ج٢ ص١٨٣ ، وينظر حكاية أبي القاسم ص٨٧ .

[١٢٦] الحيوان ج٣ ص١٩٧ .

[١٢٧] ديوان أبي نواس ص٦٩١ .

مساحب أذ يال القيان ومسرح الـــ حسان ومأوى كل خرق معـــذل
منـــازل لا يستتبـــع الغيث أهلها ولا أوجه اللذات عنهـــا بمعـــزل
منازل لو ان امرأ القيس حلهـــا لأقصر عن ذكر الدخول فحومل[١٢٨]

ووصف ابن الرومي شاجي جارية عبيد الله بـــن عبـــدالله التـــي برعت بالغناء في عهد المعتضد بالله فقال :

شجو قلبي من سائر الخلق شاجي ليس للقلب دونها من معاج
أفردتها بالقلب افـــراد حســـن خلقت وحدها بـــلا أزواج

ومضى في وصف جيدها ، وجبينها ، وشعرها الذي أسبلته جعدا أثيثا ، وجسمها الرخص اللدن ، ثم قال مستغيثا من جمال هذه المغنية :

من مجيري من أضعف الناس ركنا ولعينيه سطوة الحجـــاج
شادن يرتعـــي القلـــوب ببغـــدا د ولا يرتعي الخلا بالنباج
أورث القلب سحـــر عينيـــه داء ماله غير ريقه من علاج
وائن قلت شـــــادن ان قلبـــي لاسير لغادة مغنـــاج[١٢٩]

وقال في وحيدة المغنية واصفا جسمها وغناءها :

يا خليليّ تيمتني وحسيد ففؤادي بها معنّى عميد
غادة زانها من الغصن قدّ ومن الظبي مقلتاه وجيد

ثم قال :

ظبية تسكن القلـــوب وترعـــا هـــا وقمريـــة لهـــا تغريـــد
تتغنـــــى كأنهـــــا لاتغنـــــي من سكون الاوصال وهي تجيد

---

[١٢٨] ديوان علي ص٥٢-٥٥ .

[١٢٩] ديوان ابن الرومي ج٢ ص٤٨٧ وما بعدها .

لاتراها هنـاك تجحـظ عـين ... لـك منهـا ولا يـدر وريـد
من هدو وليس فيـه انقطـاع ... وشـجو ومـا بهـا تبليـد
قد في شأوصوتها نفس كـا ... ف كأنفاس عاشقيها مديـد[١٣٠]

وقال واصفا مجلسا للعازفات والمغنيات، وهو يهنئ عبيدالله بن عبدالله بالمهرجان :

مهرجـان كأنمـا صـورته ... كيف شاءت مخيرات الامـاني
عانيـا دهـره بحـب حبيـب ... وفؤادي ببغضك الـدهر عـاني
لو تراءى لجنة الخلـد صـبت ... واشـرأبت بجيـدها الحُسَّـان
خلقـت للاميـر فيـه سـماء ... لم يكن بدء خلقها مـن دخـان
ونجوم مسـعودة لـم يصـبها ... نحـس بهـرام لا ولا كيـوان
وأديل السـرور واللهـو فيـه ... من جميع الهمـوم والاحـزان
لبست فيه حلى حفلتها الدنـ ... يا وزانت فـي منظـر فتـان
وأذا لت من وشيها كل بـرد ... كان قدما تصونه في الصـوان

ثم قال :

وقيـان كأنهـا أمهـات ... عاطفات علـى بنيهـا حـواني
مطفلات ومـا حملنـا جنينـا ... مرضـعات ولسـن ذات لبـان
ملقمـات أطفـالهن ثـديا ... ناهـدات كأحسـن الرمـان
مفعمـات كأنهـا حـافلات ... وهي صفر مـن درة الالبـان
كل طفل يدعى بأسماء شـتى ... بـين عـود ومزهـر وكـران
أمه دهرها تترجـم عنـه ... وهو بادي الغنى عن الترجمـان

---

[١٣٠] ديوان ابن الرومي ج٢ ص٧٦٣ .

ثم قال :

ذات صوت تهزه كيف شاءت ... مثلما هزت الصباغصن بان
يتثنى فينفض الطل عنه ... في تثنيه مثل حب الجمان
ذلك الصوت في المسامع يحكي ... ذلك الغصن في العيون الرواني
جهوري بلا جفاء على السمـ ... ـع مشوب بغنة الغزلان
فيه بَمّ وفيه زير من النغـ ... ـم وفيه مثالث ومثاني
فتراه يجل في السمع حينا ... وتراه يدق في الاحيان
رخمته ورقرقته وضاهى ... فعلها الاحمران والاسمران
فهو يحكي ترقرق النهي في الريـ ... ـح لعيني ذي غلة صديان
يلج السمع مستمرا الى القلـ ... ـب بلا آذن ولا استئذان[١٣١]

وأشار الشريف الرضي الى أندية الهوى في بغداد ، فقال يتشوق :

أتطلب ياقلبي العراق من الحمى ... ليهنك من حرص عليك بعيد
وان حديث النفس بالشيء دونه ... رمال النقا من عالج لشديد
ترى اليوم في بغداد أندية الهوى ... لها مُبدئٌ من بعدها ومعيد
فمن واصف شوقا ومن مشتك حشا ... رمته المرامي أعين وخدود[١٣٢]

دور العلم :

كانت بغداد موطن العالم ، وقد وفد اليها الكثير من أرجاء الدولة ، وخرج منها علماء ينشرون العلم في الامصار ، وكانت صحبة العلوم فيها

---

[١٣١] ديوان ابن الرومي ج٦ ص٢٤٩٢ وما بعدها .

[١٣٢] ديوان الشريف الرضى ج١ ص٣٩٠ .

من أحسن ما يرجوه الناس ، قال السري الرفاء الموصلي يذكر قوما من قضاة بغداد فيهم ظرف وأدب :

اذا سقى الله منزلا فسقى ... بغداد ما حاولت من الديم
يا حبذا صحبة العلوم بها ... والعيش بين اليسار والعدم[١٣٣]

وكانت دار العلم من أهم معالم بغداد وقد نهل منها الوافدون كأبي العلاء المعري الذي قال مخاطبا خازنها :

خليليّ لا يخفى انحساري عن الصبا ... فحلا أسارى قد أضرَّبيَ الربط
ولي حاجة عند العراق وأهله ... فان تقضياها فالجزاء هو الشرط
سلا علماء الجانبين وفتيه ... أبنّوهما حتى مفارقهم شمط

ثم قال :

أخازن دار العلم كم من تنوفة ... أتت دوننا فيها العوازف واللغط
اذا جَمَحَتْ خيل الكلام فانما ... لديك يعاني من أعنتها الضبط
وما أذهلتني عن ودادك روعة ... وكيف وفي أمثاله يجب الغبط
وهل يُنْشِطَني من عقالي اليكم ... رضى زمني أم كل شيمته سخط[١٣٤]

وأنشا الخليفة ((المستعصم بالله خزانة للكتب في داره فقال فيها صفي الدين عبد الله بن جميل :

أنشا الخليفة للعلوم خزانة ... سارت بسيرة فضله أخبارها
تجلو عروسا من غرائب حسنها ... در الفضائل والعلوم نثارها
أهدى مناقبه لها مستعصم ... بالله من لالائه أنوارها[١٣٥]

---

(١٣٣) ديوان السري الرفاء ج٢ ص٦٧٨ ، وينظر تاريخ بغداد ج١ ص٥٢ .
(١٣٤) شروح سقط الزند ج٤ ص١٦٠٦ وما بعدها .
(١٣٥) الحوادث الجامعة ص١٨٤ .

ومن مفاخر بغداد المدرسة المستنصرية التي انشأها المستنصر بالله ، والتي ((لم يبن مثلها قبلها في حسن عمارتها ورقة بنائها وطيب موضعها على شاطئ دجلة وأحد جوانبها في الماء ، لم يعرف موضع أكثر منها أوقافا ولا أرفه منها سكانا))[١٣٦] وقد تغنى بها الشعراء عند افتتاحها يوم الخميس الخامس من شهر رجب سنة احدى وثلاثين وستمائة للهجرة ، ومن ذلك قصيدة الحسين بن مجد الدين حسن بن الحسين الطاهر الكوفي التي قال فيها :

عمرت مدرسة أمر ... ت بسكها وبنائها
سرّتْ عيون الناظريـ ... ـن بحسنها وبهائها
ليست مدارس من مضى ... في الحسن من نظرائها
ووسمت بالمستنصريـ ... ـة منتهى أسمائها[١٣٧]

وقصيدة أبي المعالي القاسم بن أبي الحديد المدائني الفقيه الشافعي :

ما مُثِّل الفلك العظيم لمبصر ... في الارض قبل إيالة المستنصر
هذا بناء معرب عن قدره ... رفعت قواعده بفعل مطهر
حسدت به الارضَ السماء ولم يزل ... حسد الفضائل في طباع القصر

وقال :

وضع الامام بها أساس بنائه ... والموج بين مجمجم ومزمجر
قصرا ومدرسة لمن طلب الغنى ... أورام شأو العالم المتبحر
هي جنة الفردوس يجري تحتها ... من ماء دجلة ماء نهر الكوثر[١٣٨]

---

(١٣٦) آثار البلاد وأخبار العباد ص٣١٦ .

(١٣٧) تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص٩٠ .

(١٣٨) الحوادث الجامعة ص٥٦ ، تأريخ مساجد بغداد وآثارها ص٩٠ وما بعدها .

وانشد عبد الحميد هبة الدين في اليوم العشرين من رجب قصيدة قال فيها :

أمير المؤمنين لك التهانـــي تجدد فـــي رواح وابتكـــار

وقـــال :

ومُذْ أنشأت دار العلـم قلنـا عرين الليث جل عـن الوجـار

تضاءلت المدارس اذ رأتهـا وبانت بالمذلة والصغـــار[١٣٩]

وكان على باب المدرسة المستنصرية ((ايوان ركب في صدره صندوق الساعات على وضع عجيب يعرف منه أوقات الصلوات وانقضاء الساعات الزمانية نهارا وليلا . قال أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي :

ياأيها المنصـور يـا مالكـا برأيه صـعب الليـالي يهـون

شـــيدت لله ورضـــوانه أشرف بنيـان يـووق العيـون

ايوان حسن صـنعه مـدهش يحار فـي منظـره النـاظرون

تهدي الى الطاعات سـاعاته النـاسَ وبـالنجم هـم يهتـدون

صـور فيـه فلـك دائـر والشمس تجري مالها من سكون

دائـرة مـن لازورد حلـت نقطةُ تبـر فيـه سـر مصـون

فتلك في الشكل وهـذا معـا كمثل هاء ركبـت وسـط نـون

فهي لاحياء العلى والنـدى دائرة مركزها العالمـــون[١٤٠]

---

[١٣٩] تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص٩١ وما بعدها .

[١٤٠] آثار البلاد وأخبار العباد ص٣١٦ ، الحوادث الجامعة ص٨٣ ، تأريخ مساجد بغداد وآثارها ص٩٧ .

الحنـــين :

هذه بغداد كما وصفها الشعراء ، وكان لابد للناس من أن يتشوّقوا الى رؤيتها ، أو يحنوا اليها وها هو ابن الرومي قد قال في بعض أســفاره يذكرها :

بلد صحبت به الشبيبة والصبا ... ولبست فيه العيش وهــو جديــد

فاذا تمثل في الضمير رأيتــه ... وعليه أفنان الشبــاب تميـــد[١٤١]

وقال في قصيدة التي مدح بها المعتضد بالله ، وذكر فــتح آمــد ، وتشوق الى بغداد :

أحن الى بغداد والبيــد دونهــا ... حنين عميد القلــب حــران فاقــد

وأتركها قصدا لآمــد طائعــا ... وقلبي اليها بــالهوى جــد قاصــد

ألاهل لايــام تعللــت عيشــها ... بها عــودة أم لــيس دهــر بعائــد

بلى ربما عاد الزمان بمثل ما ... بــدا فَحَمِــدْنا فِعْلَــهُ غيــر عامــدِ

فما مثلها للملــك دار خلافــة ... أجل لا ولا للطيــب مرتــاد رائــد

وما خلتنا مستبدلي بقعة بهــا ... من الارض لولا شؤم صاحب آمد[١٤٢]

ومغادرة بغداد صعبة ، قال أبو محمد الماوردي :

على بغداد معدن كل طيــب ... ومعنـــى نزهـــة المتنزهينـــا

سلام كلما جرحــت بلحــظ ... عيون المشتهيــن المشتهينـــا

---

[١٤١] ديوان ابن الرومي ج٢ ص٧٦٦ .

[١٤٢] ديوان ابن الرومي ج٢ ص٧٨٩ .

دخلنا كارهين لها فلمـــــا ألفناها خرجنـا مكرهينـــا[١٤٣]

وكان عبد الله بن طاهر قد قلد اليمن فلما أراد الخروج قال :

أيرحل آلـف ويقـيم إلـف وتحيا لوعـة ويمـوت قصـف

على بغداد دار اللهو منـي سـلام ماسـحا للعـين طـرف

وما فارقتهـا لقلـى ولكـن تناولني مـن الحـدثان صـرف

ألا روح ، ألا فَـرَجَ قريـب الا جـار مـن الحـدثان كهـف

لعل زماننا سيعود يومـا فيرجـع آلف ويسـر الـف

فبلغ الوزير هذا الشعر فأعفاه .[١٤٤]

وخرج جماعة من الشعراء في أيام المنصور عن بغداد في طلب المعاش ، ولم يخرج مطيع بن أياس منها ، لانه كان يهوى جارية يقال لها ((ريم)) لبعض النخاسين ، وقال فيها :

---

(١٤٣) تاريخ بغداد ج١ ص٥٣ ، وينظر معجم البلدان ج١ ص٤٦٣ ، ويقال ان أبا الحسن الماوردي لما خرج من بغداد راجعا الى البصرة كان ينشد أبيات العباس بن الاحنف :

أقمنا كارهين لهـا فلمـــا ألفناها خرجنا مكرهينـــا

وما حب البلاد بنا ولكـن أمر العيش فرقة من هوينا

خرجت أقر ما كانت لعيني وخلفت الفؤاد بها رهينـا

وانما قال ذلك لأنه من اهل البصرة ، وما كان يؤثر مفارقتها فدخل بغداد كارها لها ، ثم طابت له بعد ذلك فنسي البصرة وأهلها فشق عليه فراقها . وقد قيل ان هذه الابيات لابي محمد المزني الساكن بما وراء النهر (ينظر وفيات الاعيان ج٢ ص٤٤٥ وديوان العباس بن الاحنف ص٢٨٠) .

(١٤٤) معجم البلدان ج١ ص٤٦٣ .

لولا مكانك في مدينتهم لظعنت في صحبي الألى ظعنوا
أوطنت بغدادا بحبكم وبغيرها لولاكم الوطن[١٤٥]

وقال أشجع السلمي يتشوق بغداد :

اذا ذكرت بغداد لي فكأنما تحرك في قلبي شباة سنان[١٤٦]

وقال شاعر يتشوق بغداد :

ولما تجاوزت المدائن سائرا وايقنت يا بغداد أني على بعد
علمت بأن الله بالغ أمره وأن قضاء الله ينفذ في العبد
وقلت وقلبي فيه ما فيه من هوى ودمعي جار كالجمان على خدي
ترى الله يا بغداد يجمع بيننا فألقى الذي حلفت فيك على العهد[١٤٧]

وصحب اسحاق الموصلي الخليفة الواثق في سفر فقال يتغنى متشوقا الى بغداد :

أتبكي على بغداد وهي قريبة فكيف اذا ما ازددت عنها غدا بعدا
لعمرك ما فارقت بغداد عن قلى لوانا وجدنا عن فراق لها بدا
اذا ذكرت بغداد نفسي تقطعت من الشوق أو كادت تموت بها وجدا
كفى حزنا إنْ رمت لم استطع لها وداعا ولم أحدث بساكنها عهدا

فقال الخليفة : اشتقت الى بغداد . فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكن من أجل الصبيان . وأنشده :

---

(١٤٥) الاغاني ج١٣ ص٣٠٠ .
(١٤٦) كتاب الاوراق ص١٢١ .
(١٤٧) معجم البلدان ج١ ص٤٦٣-٤٦٤ .

جننت الى أصـــيبية صـــغار وشاقك مـــنهم قـــرب المـــزار
وأبرح ما يكون الشوق يومـــا اذا دنت الديـــــار من الديـــــار

فقال الخليفة : ((يا اسحاق صر الى بغداد فأقم مع عيالـــك ، ثـــم صر الينا ، وقد أمرت لك بمائة الف درهم))[١٤٨] . وقال علي بن جبلـــة المعروف بالعكوك وقد ارتحل عن بغداد :

لهفي على بغـــداد مـــن بلـــدة كانت بهـــا الاســـقام لـــي جُنّـــه
كأننـــي عند فـــراقي لهـــا آدم لمـــا فـــارق الجَنّســـــه[١٤٩]

وكان بعض الناس يرتحل عنها على كره ، ولولا ضيق الحياة بها ما فارقها ((وكان القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي قد نبابه المقام ببغداد ، فرحل الى مصر ، فخرج البغداديون يودعونه وجعلوا يتوجعون لفراقه فقال : والله لو وجدت عندكم في كل يوم مدا من الباقلى مافارقتكم ، ثم قال :

سلام على بغداد من كل منزل وحقّ لها مني السلام المضـــاعف
فوالله مافارقتها عن قلى لهـــا واني بشـــطي جانبيهـــا لعـــارف
ولكنها ضاقت عليّ برحبهـــا ولم تكن الارزاق فيهـــا تســـاعف
وكانت كخل كنت أهوى دنوه وأخلاقه تنأى به وتخـــــالف[١٥٠]

---

[١٤٨] حكاية ابي القاسم البغدادي ص٢٦ ، معجم الادباء ج٢ ص٢١١ .
[١٤٩] بغداد في الشعر العربي ص٢٤ .
[١٥٠] معجم البلدان ج١ ، ص٤٦٢ ، وينظر وفيات الاعيان ج٢ ص٣٨٧ .

وشعر التشوق والحنين الى بغداد كثير ، فما من شاعر عاش فيها ، أو وفد اليها الا كان في قلبه هوى منها وشوق اليها ، فأبو العتاهية يحن اليها لان فيها من أحب :

أمسي ببغداد ظبي لست أذكره ... إلا بكيت إذا ماذكره خطرا

ان المحب اذا شطت منازله ... عن الحبيب بكى أو حن أو ذكرا[١٥١]

ويتشوق اليها لان روحه فيها :

ان روحي لببغدا ... دوفي الكوفة جسمي[١٥٢]

وبكى العباس بن الاحنف لفراقها ، لان الحبيب فيها[١٥٣] ورجا الريح أن تبلغ أهل بغداد السلام فقال :

بلِّغي ياريح عنا ... أهل بغداد السلاما

بأبي من حَرَّمَ النَّوْ ... مَ على عيني ونامَا[١٥٤]

وودع أبو العلاء المعري بغداد وفي الحشا زفرات :

أودعكم ياأهل بغداد والحشا ... على زفرات ما ينين من اللذع[١٥٥]

واشتاق أبو علي الحسين بن فضلان الى منازلها فقال :

يذكرني برد النسم وطيبه ... منازل في بغداد همت بها وجدا

منازل ما أن زلت فيها منعما ... أجرر من سكر التصابي بها بردا[١٥٦]

---

(١٥١) أبو العتاهية – أشعاره وأخباره – ص٥٤١ .

(١٥٢) أبو العتاهية ٦٤٠ .

(١٥٣) ينظر ديوان العباس ص٣٤ ، ٤٩ ، ١٤٤ .

(١٥٤) ديوان العباس ص٢٣٨ .

(١٥٥) شروح سقط الزند ج٣ ص١٣٤٩ .

(١٥٦) دمية القصر ج١ ص٢٠٦ .

وتحسر الشعراء على أهل بغداد واشتاقوا اليهم ، قال أبو الفتح بن صاعد النصراني :

على ساكني بغداد مني تحية ... تحملها ريح الشمال اليهم
تخبرهم أني صحبت معاشرا ... سواهم فأبكاني الزمان عليهم[١٥٧]

وقال الأرجاني :

يا أهل بغداد سقى عهدي بكم ... غيث يبيت لكم كدمعي ساكبا
لولا خطوب الدهر كنت لعودة ... مني اليكم قبل موتي خاطبا
شوقي اليكم غالب لو لم تكن ... غيرُ الليالي الغالبات الغالبا[١٥٨]

وقال عبدالله بن محمد بن علي الخوارزمي :

وأين كبغداد وأين كأهلها ... لطالب عرف أو لعرف واحسان[١٥٩]

ودعا بكر بن النطاح لبغداد وساكنها بالسقيا فقال :

سقى الله بغداد من بلدة ... وساكن بغداد صوب المطر[١٦٠]

الشكوى :

لم تسلم بغداد من تذمر بعض الشعراء ، وقد يكون ذلك جانبا من جوانب الحياة فيها ، فهي كأية مدينة فيها الحسب والكراهية ، والامل والالم ، والخير والشر ، والزهد والفساد ، والعلم والجهل ، ومن ذلك قول يحيى بن زياد الحارثي وقد قدم بغداد فلم يحمد زمانه :

---

[١٥٧] خريدة القصر م٢ ج٣ ص١٣٢ .
[١٥٨] ديوان الارجاني ج١ ص٢٣١ .
[١٥٩] تكملة خريدة القصر ص٧٩٨ .
[١٦٠] الاغاني ج١٩ ص١١٦ .

لقـــد جـــاورت بغـــداذا فمـــا أحببـــت بغـــداذا
ولا أحببـــــت كرخايـــــا ولا أحببـــــت كلـــــواذا
ولا وافقنـــــي فيهـــــا أخـــي ذاك ولا هـــــذا[١٦١]

وعتب على بغداد ، وشكا منها بعض الشعراء كأبي نواس وأبـــي تمام ، وحيص بيص ، وابن المعتز والشريف الرضـــي ، وأبـــي عثمـــان الخالدي وغيرهم[١٦٢]. وكان بعض الشعراء يرى ان بغداد ليست بدار اقامة لانها سجن ، قال :

ألا ياغراب البين مالك واقفـــا ببغداد لا تجلـــو وأنـــت صـــحيح
فقال غراب البين وانهل دمعه نقضـــي لبانـــات لنـــا ونـــروح
ألا انما بغدان سجن أقامـــة أراحك من سجن العذاب مريح[١٦٣]

ولانها محل الملوك ، قال عمارة بن عقيل :

ترحل فما بغـــداد دار اقامـــة وما عند من أضحى ببغداد طائل
محل ملوك سمنهم في أديمهم وكلهم عن حلية المجد عاطل[١٦٤]

ولانها ليست مسكن الزهاد ، قال ابن المبارك :

أيها الناسك الذي ابس الصـــو ف وأضـــحى يُعَـــدُّ فـــي العبـــاد

---

(١٦١) تأريخ بغداد ج١٤ ص١٠٧ .

(١٦٢) ينظر ديوان أبي نواس ص٣٥١ ، ديوان أبي تمام ج٤ ص٤٣٨ ، ديوان حيص بيص ج٣ ص٤٠٥ ، خريدة القصر م١ ج١ ص٢٢٥ ، ديوان أشعار الامير أبي العباس ج٢ ص١٨٧ ، ٤٥١ ، ٤٦٣ ، ديوان الشريف الرضي ج١ ص٢٣٤ ، ديوان الخالديين ص١٢٧ ، يتيمة الدهر ج٢ ص٢٠٧ .

(١٦٣) تأريخ بغداد ج١ ص٦٠ .

(١٦٤) ديوان عمارة ص١٠١ ، تأريخ بغداد ج١ ص٦١ .

الـــزم الثغـــر والتعبـــد فيـــه ... لـــيس بغـــداد مســـكن الزهـــاد
إنَّ بغداد للمـــــلوك محـــــل ... ومنـــاخ للقـــارئ الصيـــاد[١٦٥]

ولانها للاغنياء وليست للمفلسين ، قال ابن الهبارية :

بغـــداد دار طيبهـــا آخـــذ ... نســـيمه منـــى بأنفاســـي
تصلح للموســـر لا لامـــرئ ... يبيـــت ذا فقـــر وإفـــلاس
لو حلَّها هارون رب الغنـــى ... أصـــبح ذاهـــم ووســـواس
هـــي التـــي توعـــد لكنهـــا ... عاجلـــة للطـــاعم الكاســـي
حور وولدان ومن كل مـــا ... تطلبه فيها ســـوى النـــاس[١٦٦]

وقال الشاعر :

سقى الله بغـــداد مـــن جنـــة ... غـــدت للـــورى نزهـــة الانفـــس
على أنها منيـــة المفلسيـــن ... ولكنهـــا حســـرة المفلـــس[١٦٧]

وقال ابو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي :

بغداد أرض لاهل المـــال طيبـــة ... وللمفاليس دار الضـــنك والضـــيق
أصبحت فيها مضاعا بين أظهرهم ... كأنني مصحف في بيت زنديق[١٦٨]

وقال طارق بن أثال الطائي في بعض أهل بغداد :

ما أن يزال ببغداد يزاحمنـــا ... على البـــرانين أشـــباه البـــرانين
أعطاهم الله أموالا ومنزلـــة ... من الملوك بلا عقل ولا دين[١٦٩]

---

[١٦٥] تاريخ بغداد ج١ ص٦ ، ٢١ ، معجم البلدان ج١ ص٤٦٤ .

[١٦٦] خريدة القصر م١ ج٢ ص٧٦-٧٧ ، وينظر معجم البلدان ج١ ص٤٦٧ .

[١٦٧] لطائف المعارف ص١٧٢

[١٦٨] معجم البلدان ج١ ص٤٦٤ ، وينظر وفيات الاعيان ج٢ ص٣٨٨ .

[١٦٩] البيان والتبيين ج١ ص٢٢٧

وكان الفقراء يحسون بوطأة الغلاء ، وقد عبر عن ذلك ابو العتاهية خير تعبير ، فقال مخاطبا الخليفة هرون الرشيد :

من مبلغ عني الاما ... م نصائحا متواليه
أني أرى الاسعا ... ر أسعار الرعية غالية
وأرى المكاسب نزرة ... وأرى الضرورة فاشيه
وأرى غموم الدهررا ... ئحة تمر وغادية
وأرى المراضع فيه عن ... أولادها متجافيه
وأرى اليتامى والارا ... مل في البيوت الخاليه
من بين راج لم يزل ... يسمو اليك وراجيه
يشكون مجهدة بأصـ ... ـوات ضعاف عاليه
يرجون رفدك كي يروا ... مما لقوه العافيه
من يرتجي في الناس غيـ ... ـرك للعيون الباكيه
من مُصبيات جوع ... تمسي وتصبح طاويه
من يرتجي لدفاع كر ... ب ملمه هي ماهيه
من للبطون الجائعا ... ت وللجسوم العاريه
من لارتياع المسلميـ ... ـن اذا سمعنا الواعيه[170]

الاحداث :

عبر الشعراء عن بعض الأحداث ولكنهم مسوها مسا رقيقا ولم يتعمقوا فيها ، ومن الاحداث التي وردت في أشعارهم نكبة بغداد بعد وفاة

---

[170] أبو العتاهية ص٤٣٩ – ٤٤٠ .

هارون الرشيد الذي قسم دولته بين أبنائه الامين والمأمون والمعتصم ، وقد توقع الناس بحرب بينهم فقال أحد الشعراء :

أقول لغمة في النفس مني ودمع العين تطرد اطرادا
خذي للهول عُدَّتَهُ بَحَزم ستلقي ماسيمنعك الرقادا[١٧١]

وكان ماتوقع الشاعر ، اذ نقض الامين عهد الرشيد ، ودعا الى بيعة ولده ، فسارت جيوش المأمون وطرقت بغداد وضربت عليها حصارا دام أربعة عشر شهرا ، فذاق الناس الويل وحل الخراب والنهب والقتل ، ووقعت الفتنة بين أنصار الامين والمأمون في سنة ست وتسعين ومائة للهجرة ، فقال اسحاق بن حسان الخريمي في بغداد :

يابوس بغداد دار مملكة دارت على أهلها دوائرها
أمهلها الله ثم عاقبها لما أحاطت بها كبائرها
رق بها الدين واستُخِفَّ بذي الـ ـفضل وعز الرجالَ فاجرها
وصار رب الجيران فاسقُهم وابتز أمرَ الدروب شاطرها
يُحْرِق هذا وذاك يهدمها ويشتفي بالنهاب داعرها
والكرخ أسواقها معطلة يسبتن شُذانها وعائرها
أخرجت الحرب من أساقطهم أساد غيل غلبا قساورها
من البواري تراسها ومن الـ ـخوص اذا استلأمت مغافرها
لا الرزق تبغي ولا العطاء ولا يحشرها بالعناء حاشرُها[١٧٢]

---

[١٧١] بغداد في الشعر العربي ص٩٦ .

[١٧٢] الشعر والشعراء ج٢ ص٨٥٥ ، عيون الاخبار ج١ ص١٣١ .

وعندما حاصرت جيوش المأمون بغداد بقيادة طاهر بن الحسين قطع الجسرين خزيمة بن خازم – وكان من قواد الامين – ثم لحق بطاهر ، وكان ذلك من أسباب استيلاء طاهر على بغداد فقال الحسين بن الضحاك :

أناخ بجسري دجلة القطع والقنا شوازع والارواح في راحة العضب
وأم المنايا بالمنايا مجيلة تفجع عن خطب وتضحك عن خطب[١٧٣]

وقال في خراب بغداد ووحشتها أيام حصارها في الحرب بين جيوش طاهر ابن الحسين وجيوش الامين :

أتسرع الرحلة اغذ اذا عن جانبي بغداد أم ماذا
أما ترى الفتنة قد ألفت الى أولي الفتنة شذاذا
وانتفضت بغداد عمرانها عن رأي لاذاك ولا هذا
هدما وحرقا قد أباد اهلها عقوبة لاذت بمن لاذا
ما أخشن الحالات ان لم تعد بغداد في القلة بغداذا[١٧٤]

وقال ابن الضحاك واصفا قصر الخلافة في أيام الفتنة ، وهو يرثي الأمين :

هتكوا لحرمتك التي هتكت حرم الرسول ودونها السجف
ونبت أقاربك التي خذلت وجميعها بالذل معترف
لم يفعلوا بالشط اذ حضروا ما تفعل الغيرانة الأنف
تركوا حريم أبيهم نفلا والمحصنات صوارخ هتف

---

[١٧٣] أشعار الخليع ص٢٨ .

[١٧٤] أشعار الخليع ص٥١ .

أبدت مخلخلها على دهش أبكارهن ورنت النصف
سلبت معاجرهن واجتليت ذات النقاب ونوزع الشنف[١٧٥]

وقال في نساء قصر الخلد واستحلال محارم الخلافة وهو يرثي الامين :

ومما شجا قلبي ويسكب عبرتي محارم من آل الرسول استحلت
ومهتوكة بالخلد عنها سجوفها كعاب كقرن الشمس حين تبدت
اذا خفرتها روعة من منازع لها المرط عادت بالخشوع ورنت
وسرب ظباء من ذوءابة هاشم هتفن بدعوى خيرحيّ وميت
أرد يدا مني اذا ما ذكرته على كبد حرى وقلب مفتت
فلا بات ليل الشامتين بغبطة ولا بلغت آمالهم ماتمنت[١٧٦]

لقد صور الشعراء جانبا من الفتنة بين الامين والمأمون ، ووقف بعضهم الى جانب الامين ورثوه ، وصوروا المآسي التي حلت بمحارمه ، وكانوا صادقين في ذلك الصدق كله ، لانهم قالوا الشعر والمأمون خليفة فلم يخافوا ولم ترهبهم سطوة الحاكم الجديد .

ومن الاحداث التي ألمت ببغداد تحول الخلفاء عنها بعد أن بنى المعتصم مدينة سامراء ، وصور الشعراء هذا الحدث فقال عمارة بن عقيل :

قضى ربها ألا يموت خليفة بها انه ما شاء في خلقه يقضي
تنام بها عين الغريب ولن ترى غريبا بأرض الشام يطمع في غمض
فان جزيت بغداد منهم بقرضها فما أسلفت الا الجميل من القرض

---

[١٧٥] أشعار الخليع ص٧٩ .

[١٧٦] أشعار الخليع ص٣٢ .

وأن رميت بالهجر منهم وبالقلى فما أصبحت أهلا لهجر ولا بغض[١٧٧]

وأرسل دعبل الخزاعي أبياتا الى المعتصم بعد خروجه منه مغضبا قال فيها :

بغداد دار الملوك كانت حتى دهاها الذي دهاها
ما غاب عنها سرور ملك عاد الى بلدة سواها
ليس سرور بسر من را بل هي بؤس لمن يراها
عجل ربي لها خرابا برغم أنف الذي ابتناها[١٧٨]

ورثاها محمد بن عبد الملك الزيات بعد انتقال الخلافة الى سامراء فقال :

الآن قام على بغداد ناعيها فليبكها لخراب الدهر باكيها
كانت على ما بها والحرب باركة والهدم يغدو عليها في نواحيها
ترجى لها عودة في الدهر صالحة فالان أضمر منها اليأس راجيها
مثل العجوز التي ولت شبيبتها وبان منها جمال كان يحظيها
لزت بها حرة زهراء واضحة كالشمس مكسوة درا تراقيها[١٧٩]

كان انتقال الخلافة الى سامراء غصة في نفوس بعض الشعراء ، لان بغداد موطنهم وفيها أحلى ذكرياتهم ، ولذلك لم يرتادوا ، ودعا بعضهم لسامراء بالخراب بخلاف الحسين بن الضحاك الذي رأى أن سامراء أكثر سرورا من بغداد ، قال :

---

[١٧٧] ديوان عمارة ص٩٧ ، تأريخ بغداد ج١ ص٦٨ .

[١٧٨] ديوان دعبل ص٢١١ .

[١٧٩] ديوان محمد بن عبد الملك الزيات ٩٦ ، وص١٠٤ من طبعة الامارات العربية الجديدة ، وفيها : أزت بها ...

سر من را أسر مـن بغـداد فالْهُ عن بعض ذكرهـا المعتـاد
حبذا مسرح لها لـيس يخلـو أبـدا مـن طريـدة وطـراد
ورياض كأنمـا نشـر الزهـ ـر عليها مُحَبَّـرَ الابـراد[١٨٠]

وكان الخليفة الراضي بالله أراد أن يسكن سامراء ويترك بغـداد ، فقال ابو بكر محمد بن يحيى الصولي يحبب اليه بغداد :

بغداد حصن الملوك تـؤمنهم من كـل بـاغ يخشـى تـورده
وأهلها في الخطوب جيشـهم بغيـر رزق للجـيش ينقـده
فـأين لا أيـن مثلهـا بلـد يحـافظ ملكـه يؤيـده
فلا تُرِدْ غيـرها بها بلـدا أسلم سيـر المغذ أحمـده[١٨١]

ومما ذكره الشعراء دخول القرامطة بغداد اذلاء صاغرين بعد أن قضي عليهم ، وكانت ((ارجوزة المعتضد)) لابن المعتز حافلة بمثل هذا الحدث وغيره من الاحداث التي وقعت في بغداد[١٨٢] . وأشار ابن الرومي الى فساد بغداد في عهد إمارة سليمان بن عبدالله[١٨٣] والى حـزن بغـداد منه فقال :

كأن بغـداد لـدن أبصـرت طلعتـه نائحـة تلتـدم
مستقبل منـه ومستدبـر وجه بخيل وفقـا منهـزم[١٨٤]

---

(١٨٠) أشعار الخليع ص٤٢ .
(١٨١) أخبار الراضي ص١١٤ .
(١٨٢) تنظر الاجوزة في ديوان أشعار الامير أبي العباس ج٢ ص٥ وما بعدها .
(١٨٣) ينظر ديوان ابن الرومي ج٢ ص٨١٠ ، ج٥ ص١٨٢١ .
(١٨٤) ديوان ابن الرومي ج٦ ص٢٢٤٠ .

وقـــــــال :

نَقَّلوه علـــى الهزيمـــة بغـــــ داد كأنْ قد أتـــى بفـــتح عظـــيم
لم يكن مثلـــه يـــولى ولكـــن حفظوا في الحديث حـــق القـــديم
ضيعوا حرمة الخلافة جهـــلا ورعوا حرمـــة العظـــام الـــرميم
سوف تغنى الفطام منهم اذا ما أصبح الملك مستباح الحريـــم[١٨٥]

وأشار الشريف الرضي الى الدفاع عن بغداد وهو يمـــدح بهـــاء الدولة ويهنئه بشهر رمضان سنة احدى وثمانين وثلثمائة للهجرية ، ولـــم يذكر طبيعة ذلك الدفاع[١٨٦] ، واشار الى فتنة وقعت في بغداد ، فقال وهو يمدح أباه ويهنئه بعيد الفطر سنة ثلاثين وثلثمائة للهجرة :

وأقشعت عن بغداد يوما دويه الى الآن باق في الصبا والجوانـــب
ولولاك عُلِّي بالجماجم سورها وخنـــدق فيها بالدماء الذوائـــب[١٨٧]

وكان آخر ما صوره الشعراء العباسيون نكبة بغداد على يد المغول سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة فقد اجتاحوا البلاد ودمروها ووضـــعوا ((السيف في أهل بغداد يوم الاثنين خامس صفر ، وما زالوا فـــي قتـــل ونهب وأسر وتعذيب الناس بأنواع العذاب واستخراج الاموال منهم بـــأليم العقاب مدة أربعين يوما ، فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والاطفال فلـــم يبق من أهل البلد ومن التجأ اليهم من أهل السواد الا القليل))[١٨٨] . ورأى

---

(١٨٥) ديوان ابن الرومي ج٦ ص٢٢٦٢ .
(١٨٦) ينظر ديوان الشريف الرضي ج١ ص١٧ .
(١٨٧) ديوان الشريف الرضي ج١ ص٩١ .
(١٨٨) الحوادث الجامعة ص٣٢٩ .

الشعراء ماحل بحاضره الدولة فبكوها بكاء مرا ، ورثوها بأشعار شجية تقطر حزنا وألما ، ومن ذلك قول تقي الدين بن أبي اليسر وهو ممن شاهدوا النكبة وفزعوا مما حل ببغداد من نهب وقتل وتدمير :

لسائل الدمع عن بغداد أخبار ... فما وقوفك والأحباب قد ساروا
يازائرين الى الزوراء لاتفدوا ... فما بذاك الحمى والدار ديار
تاج الخلافة والربع الذي شرفت ... به المعالم قد عفاه افقار
أضحى لعطف البلى في ربعه أثر ... وللدموع على الآثار آثار[189]

وقال شمس الدين محمد بن عبيد الله الكوفي الواعظ :

يا نكبة مانجا من صرفها أحد ... من الورى فاستوى المملوك والملك
تمكنت بعد عزفي أحبتنا ... أيدي الاعادي فما أبقوا ولا تركوا[190]

ولما شاهد تراب الرصافة وقد نبشت قبور الخلفاء ، وأحرقت تلك الاماكن ، وأبرزت العظام والرؤوس ، كتب على بعض الحيطان :

إنْ ترد عبرة فتلك بنو العـ ... ـباس حلت عليهم الآفات
استبيح الحريم اذ قتل الاحـ ... ـياء منهم وأحرق الأموات

ومما قال أيضا :

يا عصبة الاسلام نوحوا واندبوا ... أسفا على ماحل بالمستعصم
دَسْتُ الوزارة كان قبل زمانه ... لابن الفرات فصار لابن العلقمي[191]

---

[189] بغداد في الشعر العربي ص١٤٢ .
[190] الحوادث الجامعة ص٣٣٤ .
[191] الحوادث الجامعة ص٣٣٥ .

ووصف شمس الدين محمود بن احمد الهاشمي الحنفي آلامه وأحزانه وهو يرى دمار بغداد فقال :

لما رأيت الدار بعد فراقهم ... أضحت معطلة من السكان
مازلت أبكيهم وألثم وحشة ... لجمالهم مستهدم الاركان
حتى رثى لي كل من لاوجده ... وجدي ولا أشجانه أشجاني

ومضى في تصوير ما كان يجيش في صدره ، وكان يأمل أن تعود الديار الى أيامها الزاهرة ، ولكن هيهات، فقد حل بها الدمار ، ومات أهلها أو تفرقوا :

هيهات قد عز اللقاء وسددت ... طرق المزار طوارق الحدثان
مالي أردد ناظريّ ولا أرى الـ ... أصحاب فيك جماعة الاخوان
والهفتي وا وحدتي واحيرتي ... واوحشتي واحر قلبي العاني
مالي أنيس بعدكم غير البكا ... والنوح والحسرات والاحزان[١٩٢]

ويمثل الشعر الذي قيل في رثاء بغداد عواطف الشعراء وأحاسيسهم ، ويصور الحالة التي آلت اليها المدينة بعد أن دمرها هولاكو بجيوشه البربرية ، واجتاح العمران ، وأغرق الكتب في ماء دجلة ، وقتل وشرد الالاف .

هذه بغداد في الشعر العباسي وقد اتضحت فيه أهم ملامحها وظهر جانباها الشرقي والغربي ، ومحالها ، وأسواقها ، وقصورها ، وأنهارها ، وجسورها ، وجوها ، ومتنزهاتها ، وقيانها ، وتجلى العلم ومجالسه ، وظهر الشوق والحنين ، وبدت اشكوى ، ووقفت الاحداث تروي مأساة

---

[١٩٢] بغداد في الشعر العربي ص١٤٦-١٤٧ .

بغداد في فتنة الامين والمأمون ، وفي اجتياح هولاكو لها وقضائه على الخلافة العباسية فيها . وقد تكون هذه الملامح أكثر جلاء واشد وضوحا حينما يجمع معظم ما قيل من شعر في بغداد بديوان كبير .

المصادر :

١ـ آثار البلاد وأخبار العباد ـ زكريا بن محمد بن محمود القزويني دار صادر – بيروت ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م .

٢ـ أبو العتاهية ـ أشعاره وأخباره ـ تحقيق الدكتور شكري فيصل . دمشق ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م .

٣ـ أخبار الراضي بالله والمتقي لله من كتاب الاوراق ـ أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ـ عني بنشره ج . هيورث دن ـ القاهرة ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م .

٤ـ أشعار أبي الشيص الخزاعي ـ جمعها وحققها الدكتور عبد الله الجبوري ـ بغداد ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م .

٥ـ أشعار الخليع الحسين بن الضحاك ـ جمعها وحققها عبد الستار فراج ـ بيروت ١٩٦٠م .

٦ـ الاغاني ـ أبو الفرج الاصفهاني ج١ – ٢ و ١٧ – ٢٤ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، و ج٣ –١٦ طبعة دار الكتب – القاهرة .

٧ـ الامتاع والمؤانسة – أبو حيان التوحيدي ـ تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين . القاهرة .

٨ـ البيان والتبيين – أبو عثمان الجاحظ . تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ القاهرة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م .
٩ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام – أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي . دار الكتاب العربي – بيروت .
١٠ـ تكملة خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء العراق) – عماد الدين الاصبهاني الكاتب – تحقيق محمد بهجة الاثري – بغداد ١٩٨١م .
١١ـ حكاية أبي القاسم البغدادي – محمد بن احمد أبو المطهر الأزدي – هيدلبرج ١٩٠٢ .
١٢ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة – كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي – بغداد ١٣٥١هـ .
١٣ـ الحيوان – ابو عثمان الجاحظ – تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة ١٣٥٦هـ – ١٩٣٨م .
١٤ـ خريدة القصر وجريدة العصر (قسم العراق) عماد الدين الاصبهاني الكاتب ج١ بتحقيق محمد بهجة الاثري وبمشاركة الدكتور جميل سعيد – بغداد ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م ، أما الاجزاء الاخرى فبتحقيق محمد بهجة الاثري وحده .
١٥ـ دمية القصر وعصرة أهل العصر – أبو الحسن الباخرزي – تحقيق الدكتور سامي مكي العاني . الطبعة الثانية – الكويت ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
١٦ـ انديارات – ابو الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي – تحقيق كوركيس عواد . الطبعة الثانية – بغداد ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م .

١٧ــ ديوان ابن الرومي . تحقيق الدكتور حسين نصار ، القاهرة ١٩٧٣م وما بعدها .
١٨ــ ديوان أبن نباتة السعدي – تحقيق عبد الامير مهدي حبيب الطائي – بغداد ١٩٧٧ .
١٩ــ ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي – تحقيق محمد عبده عزام – دار المعارف – القاهرة ١٩٦٤م وما بعدها .
٢٠ــ ديوان ابي نواس – تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي – دار الكتاب العربي – بيروت .
٢١ــ ديوان الأبيوردي – تحقيق الدكتور عمر الاسعد – الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
٢٢ــ ديوان الارجاني – تحقيق الدكتور قاسم مصطفى – بغداد ١٩٧٩م .
٢٣ــ ديوان أسامة بن منقذ – تحقيق الدكتور احمد احمد بدوي وحامد عبد المجيد – القاهرة .
٢٤ــ ديوان أشعار الامير أبي العباس عبدالله بن المعتز – تحقيق الدكتور محمد بديع شريف – دار المعارف – القاهرة ١٩٧٧ – ١٩٧٨م .
٢٥ــ ديوان عيص بيص – تحقيق مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر – بغداد ١٩٧٤م .
٢٦ــ ديوان خالد الكاتب – تحقيق الدكتورر يونس احمد السامرائي – بغداد ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .
٢٧ــ ديوان الخالديين – جمعه وحققه الدكتور سامي الدهان – دمشق ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م .

٢٨ـ ديوان دعبل بن علي الخزاعي – جمعه وحققه عبد الصاحب الدجيلي – النجف الاشرف ١٣٨٢هـ – ١٩٦٢م .
٢٩ـ ديوان السري الرفاء – تحقيق الدكتور حبيب حسين الحسني – بغداد ١٩٨١م .
٣٠ـ ديوان الشريف الرضي – دار صادر – بيروت ١٣٨٠هـ – ١٩٦١م .
٣١ـ ديوان العباس بن الاحنف – تحقيق الدكتورة عاتكه الخزرجي – القاهرة ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م .
٣٢ـ ديوان علي بن الجهم – تحقيق خليل مردم بك – الطبعة الثانيه – بيروت .
٣٣ـ ديوان عمارة بن عقيل – جمعة وحققه شاكر العاشور – البصرة ١٩٧٣م .
٣٤ـ ديوان محمد بن عبد الملك الزيات – تحقيق الدكتور جميل سعيد – القاهرة ١٩٤٩م ، وطبعة المجمع الثقافي بأبوظبي ١٤١١هـ – ١٩٩١م .
٣٥ـ الزاهر في معاني كلمات الناس – أبو بكر محمد بن القاسم الانباري تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن . بغداد ١٣٩٩هـ –١٩٧٩م .
٣٦ـ شروح سقط الزند – دار الكتب – القاهرة ١٣٦٤هـ – ١٩٤٥م .
٣٧ـ شعر علي بن جبلة المعروف بالعكوك – تحقيق الدكتور أحمد نصيف الجنابي – النجف الاشرف ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .
٣٨ـ الشعر والشعراء – ابن قتيبة – تحقيق أحمد محمد شاكر – دار المعارف – القاهرة ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م .

٣٩ـ طبقات الشافعية الكبرى – تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي – تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو . القاهرة ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م وما بعدها .
٤٠ـ طبقات الشعراء – عبد الله بن المعتز – تحقيق عبد الستار احمد فراج . دارالمعارف – القاهرة .
٤١ـ عيون الاخبار – ابن قتيبة – دار الكتب – القاهرة .
٤٢ـ كتاب الاوراق (أخبار الشعراء) – أبو بكر محمد بن يحيى الصولي – عني بتحقيقه ج . هيوارث دن .
٤٣ـ كتاب بغداد – أبو الفضل أحمد بن طاهر الكتاب المعروف بأبن طيفور . القاهرة ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م .
٤٤ـ لطائف المعارف – أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي – تحقيق ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي . القاهرة ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م .
٤٥ـ المذكر والمؤنث – أبو بكر محمد بن القاسم الانباري – تحقيق الدكتور طارق عبد عون الجنابي – الطبعة الثانية – بيروت ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
٤٦ـ معجم الادباء المعروف بارشاد الاريب الى معرفة الاديب – شهاب الدين ياقوت الحموي – تحقيق د.س مرجليوث . الطبعة الثانية – القاهرة ١٩٢٣م .
٤٧ـ معجم البلدان – شهاب الدين يلقوت الحموي – دار صادر – بيروت ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م .

٤٨ــ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان – أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – القاهرة ١٣٦٧هـ – ١٩٤٨م وما بعدها .
٤٩ــ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر – أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . الطبعة الثانية – القاهرة ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦م .

المراجـــع :

١ــ بغداد في الشعر العربي من تاريخها واخبارها الحضارية – جمال الدين الالوسي – بغداد ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
٢ــ بغداد مدينة السلام – الدكتور صالح احمد العلي – بغداد ١٩٨٥م .
٣ــ تاريخ مساجد بغداد وآثارها – محمود شكري الالوسي – تهذيب محمد بهجة الأثري . بغداد ١٣٤٦هـ .
٤ــ خطط بغداد في العهود العباسية الاولى – الدكتور يعقوب لسنر – ترجمة الدكتور صالح احمد العلي . بغداد ١٩٨٤م .
٥ــ خطط بغداد في القرن الخامس الهجري – الدكتور جورج مقدس – ترجمة الدكتور صالح احمد العلي . بغداد ١٩٨٤م .
٦ــ خطط بغداد وأنهار العراق القديمة – مكسمليان شتريك – ترجمة الدكتور خالد اسماعيل علي . بغداد ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
٧ــ الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري – الدكتور احمد عبد الستار الجواري – بيروت ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦م .
٨ــ معالم بغداد الاثارية والعمرانية (دراسة تخطيطية) – الدكتور صالح احمد العلي بغداد ١٩٨٨م .